



صَحَابَةُ الْمَدِينَةِ  
فَدِكْرُ الْمَدِينَةِ

لنشرها

المدرس بمدرسة فاروق الثانوية

المدرس بمدرسة فاروق الثانوية

—:—:—

حقوق الطبع محفوظة للناشر

—:—:—

الطبعة الأولى — يناير سنة ١٩٣٤

---

مطبعة الشَّعْبِ لشارع محمد علي ص ١٢



## مقدمة الناشر

عزرت على أوراق كانت عند أحدباء الكتب القديمة  
 فلهجت فيها كلمات قرأت بعضها فساقني ذلك إلى قراءة  
 ما يليها ثم ما زلت حتى انتهيت إلى آخرها فتنبهت نفسي  
 طويلا وشعرت في نفسي بألم لزيد وقد يكون الألم لذيذا  
 إذا صادف في النفس معنى خفيا لا يستطيع الإفصاح عنه  
 واني رأيت أن انشر تلك الكلمات كما وجدتتها ولا ادعى  
 للقارئ أنها عمل كبير ولا أنها تستحق منه الإعجاب أو  
 الاكبار فما أقصد إلا أن يشعر من يقرأها بمنزل ما شعرت  
 به وحسبي منه أن يتنفس نفسا طويلا وأن تنبأ عيناه كما  
 تنفست وتبالت عيناي رياء لضحية من ضحايا المجتمع - فان  
 كان ذلك فاخرت بأني تقات إلى الناس قولا يحرك نفوسهم  
 ولا كان واجبا على أن اعتذر عن اعصابي الضعيفة .  
 وقد كان في عزم رجل قبلي أن ينشر هذه الكلمات

ولا ادري علة قعوده عن عزمه وكذلك لا اعلم كيف وصلت  
 هذه الاوراق الى بائع السكتب الذي وجدتها عنده فاعل  
 الدهر قد تقاب مرة على الثاني كما عصف بصاحبه فأفادت  
 تلك الأوراق الى حيث عثرت عليها وانى ذا كر للقارىء  
 مقدمة كتبها ذلك الرجل الذى لم يتم غرضه ما  
 محمد فريد ابو حديد



## مقدمة المجهول

أذى آلت إليه الأوراق

سأجهد أن أخرج هذه الأوراق كما تركها صديقي  
المرحوم محمد حتى إذا كان للناس قلب يتألم أو نفس ترحم  
تألموا ورحموا . كم في العالم من احتقيا لا ذنب لهم في شقائهم  
وانما هي جريمة النظام الفاسد الذي يسود على العالم فيجعل  
نصيب بعض الحرمان ونصيب بعض البطر والاغراق وكم  
بين الخلق من ضحايا ذهبوا بعد حياة كانوا يؤس وشدة  
يذعجزوا عن الفوز في نضال الحياة - ذلك النضال الذي  
يفوز فيه الظالم والغاصب والجامد في أيام يتعتونها بأنها  
أيام تقدم وحضاره .

لقد بدالى أن الحياة حميرة وأن نظامها فسد وان على  
عمول اهلها غشاة من العادات والعقائد - واما وهام - لقد  
بدلى ذلك بعد أن ذهب من العالم صديق كنت أحسن  
النظن بالحياة من أجله ورأيت نفسى وحيداً في صحراء جرداء

٦  
تجردت من زخرفها وانكشف عنها غطاؤها المموه .

إن قلمي دام ولا أريد أن انكلم ويزيدني كرها في  
الكلام اني لا ارجو لما حول الناس من الفساد صلاحا سريعا  
لأن جذوره أبعدا أصلا وأشد بأسا من أن يقلعها صراخ  
ولوعلا ولكني لا أستطيع أن اكتم عن الناس صرخات  
صديقي المرحوم - تلك الصرخات التي لأقروها إلا بزفرة  
ناثرة ودمعة متناثرة وصدر ضيق وفكر مضطرب

لقد مات صديقي ضحية فالي رحمة الله - بعد أن كذب  
تلك الكلمات في آخر مدة من حياته كلما أجهدته الهم بين  
يوم وآخر ولعل الله يجعل في أجلى مهلة حتى أنشرها في رثي  
البائس الحى اصاحب فائت ويرى المنعم اليوم صورة من  
حياة أخ شفى هلك بالألمس في شفاعته ما

فهم

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اول يناير . كن يحب الا ينزل البرد في بلد به فقراء .  
 لو كانت الطبيعة عادلة . لقد كنت اسمع الناس فيما مضى  
 يقولون ان الشتاء خير من سائر فصول السنة وكنت اوافهمهم  
 على ما يقولون اذ كنت لا اشعر بمثل ما اشعر به اليوم .  
 فان الشتاء انما لذ فيه السكون والدفء وهو فصل المنازل  
 السعيدة والسمر العائلي المرح والاجتماع الهنيء فاذا لم يكن  
 كذلك ذهبت حالوته وبهي منه "برد وريح والمضر والظلام .  
 هذه ياب امي المحبوبة لم تنغير منذ الصيف الغابر .  
 وهما هي راقدة على فراشها "بارد تسعل سعالا شديدا .  
 والماء انقابي يمزق كلما اسمع ذلك السعال يخرجها كذا .  
 اواد ! وكيف أنت الان ابني الاخت لمسكينة في منزل  
 جدتك . هي اسعاف كذلك وترعفين من ردمل أمي ؟  
 اني أبصر وقايي يحس ولكن كيف السبيل الى غير  
 ذلك وما حلتي . أنا لا أزال طالبا لا اصالح العمل ووالدي



لا يستطيع ان يرسل لنا اكثر مما يرسل وأنا عالم بذلك العجز منه فلا أقدر أن أطلبه بما لا طاقة له به وهبني طابته فكيف يحجب - إن البرد يرحفني انا كذلك ولكن ليس هذا بشئ فياليت كل البرد ينزل بي وتذهب مابي من حرارة الى ذلك الجسم المرتجف جسم أُمى فأنأقوى منها على الاحتمال. أتياحاول إخفاء المأعنى واسكن اني لها ذلك والضعف يبدو برغمها. سأعاجل النوم برغم كل ذلك ولعلنى يستطيع غائسى ذلك البؤس ولو لساعات .

٥ يناير - عصفت الرياح أمس ايلا واشتد نزول المطر  
ولعن الله النوافذ المكسورة والسقوف المشطوبة - اننا لم نستطع النوم وقضينا الليل بين محاولة رتق فتوق وتخفيف سيمون. ألا متى يمتضى ذلك القراالتديد ويحل فصل المساكين فصل الحف . يقولون انه فصل مكروه تهرق النفوس من حرد وتنتشر الامراض في هوائه وتقرض الصدور من غبارد - وهى ذلك عيب فيه ؟ إن من قال ذلك نسى أن أسعد يوم اطاع على العالم هو اليوم الذى يحتاج فيه الداء زمرة الفقراء البؤساء فيطهر العالم من داء وييل - لا بل

استغفر الله انه اليوم الذى يستريح فيه اكبر عدد من الناس من عناء تلك الحياة وهل الفقراء الا اغلب الخلق ؟ اتى أعجب من تقسيم الحظوظ فى ذلك العالم ولا أدرى السرفيه فكيف يذهب الأقل من الناس عدداً بخير الارض ويترك إمامة الدهماء فضلات ما يلقى من الطعام وسؤر ما يعاف من الشراب . هل هناك كل ذلك الفرق بين قدرة بعض الخلق وقدرة البعض الآخر أم بين ذكاء وذكاء :- لا بل اظن أن سبب ذلك الفرق بين الناس هو أن بعضهم قانع كريم وأن البعض الآخر شره نواق .

والكن لم كل هذا التفكير الأسود لفدطال لى رجل  
ففير من اخوانى حكمة يجب ان اذكرها دائماً اذا استطعت  
وهذه الحكمة هى ان انظر دائماً الى من هم اسوأ منى حضا .  
فان فى الناس من يعدنى سعيدا .

١٢ بنابر . لا يمكن ان ابقي كذلك ابداً . هأنا شاب  
قوى اشكو كائى فتاة ضعيفة أو شيخ عاجز . أأبني على  
ألمى ولا احرك يدي لعمى . وهل ألوم الحظ واسخط على  
العالم عندما ارى امي تئن من مرضها مع انى جدير بأن

أسخط على نفسى أولا؟ ما الذى يربطنى حتى لا اعمل على تخفيف ما انا به من الشقاء؟ اننى أقدر على قطع الحجر من اجبال وعلى ان أفاح الأرض كلى رجل آخر من العملة ولكنى مع ذلك أقعد ساكننا رجاء المستقبل - ويل انفسى من ذلك الطمع الجاهل . اتى كلما ابصرت قوما يعملون وجبينهم يتعصب عرفا شعرت بخجل عظيم اذ يتضح لى الفرق الكبير بين نفوسهم الكبيرة ونفسى الحفيرة ، فانى مثل الشجبح الذى يقضى عمره فى الجمع مخافة الفقر ولا يجد يوماً ما يجعله يقول قد اكتفيت . الا تعسا للمدينة التى تسبب تلك القيود فتذل النفس بها . ان العامل الذى يعود الى ابنائه فى المساء يحمل حزمة من الفجل اكرم منى نفسا واسعد قابلا لانه سمى واتى لأهله بما قد رله بعد السعى طاقته على حين انى أنوم كل شئ ، واقعد عاجزا لا احسن الا الصراخ .

١٥ بنابر لا تريد اى سماع فكري ولا تحب أن اسلم

للك اخيالات - ففى مصرّة على أن ابقي فى المدرسة حتى اتم دراستى فأخرج غير مستعجل الى أمل فسيح واسكنى لا أقدر أن اخل كذلك على ما أنا فيه هذه السنين المقبلة وهى

لقد قضيت طول ايلة الامس باكيا لم يطاوعني النوم  
حين طلبته - واحد الله اذ نلت ديوان شعر  
اشربته من زمنا فزع اليه اذا فعمت الكأس وزاد  
بي الامل فاجد فيه - لم يلا أجدها في كلام أحد من  
الناس - اللهم الا صديقي فهم وأين هو مني . إني لا اراه  
الآن إلا مادرا .

١٦ يناير - ماهذه القيود التي ازعم انها تقيدني ، ماهندة  
هذه اليد وهذه الرجل وذلك الرأس : يجب ألا ألوم أحدا  
غير نفسي إذا ألتئم أستفد بما وهبني الله من قوى وهل خاف  
الله هذه الاعضاء الا للعمل والكسب والسعى الى الرزق .  
أنا اعنذر عن نفسي بأنى لا أستطيع الدخول الى المبدان الآن  
واسكنى اعتل بعلل العاجزين . فان الإنسان لابد أن  
يسعى وإذا سعى وخاب عن العمل الشريف رغم محاولته  
فانى ابرر ان يقصد الى غير الشريف فلا لوم عندى  
على السارق الذى يدفع بعد العجز الى السرقة ليقوت أهله -

لا بل انى أقول أكثر من هذا - أقول إن النفس الكبيرة  
إذا وقعت في شقاء لم تجرهُ هي على صاحبها ثم عجزت عن  
العمل الشريف بعد محاولته لوقوف المجتمع القاسى في سبيلها  
وجب عليها الذهاب الى ابد الغايات ، الى الاجرام البشع ،  
والنهب المحرم ، وهل هذا الا دفاع عن النفس ؟ إن المجتمع  
يحاول قتلها فلا بد أن تدافع عن حياتها فيجب ألا تموت  
مادام في العالم زاد يمكن اقتسامه . إن الأسد يفترس قوته  
غصبا وفنكا فلم لا يصير البائس كالأسد غاصبا فانكا - أما  
أنا فخير لدى أن اكون كذلك من أن يقال في إذامت إنى  
مسكين قضيت اذ عجزت عن التماس الرزق .

٢٠ يناير . لقد زاد الحال على قدر الاحتمال وأرى جذران  
يتى هذا المظلم ضيقة على نفسى واجد البرد فيه اقصى من البرد  
المعتاد وكأني أصر قوماني هذه الساعة جلوساً في منزل كسبه  
ترباس ففطت ارضه الحجرية الباردة وعابهم من الملابس  
ما يكسو أجسم فيقيه وخز هذا البرد الفارس فاذا ما أقبل  
الليل كانت لهم سرر وثيرة الفراش يهنأ بها النوم وبلذ . والسكى  
بعد ذلك التخيل ارجع لنفسى فاجدنى في ارض مكشوفة

وثياب بالية وفراش بئس ما يفترش - اننى اضحك برغمى  
وأنا فى تلك الحال لأأتى تذكرت قول اخى الأعرابي الجلف  
اذ يقول وهو يشكو ظلم الحظوظ  
تركت عيالى لافوا كه عندهم

وعند ابن عمرو سكر وزيب

حقا انى أغبط قومًا يجدون السكر والزيب واعد ذلك  
نعما - انها ضحكة اضحكها ولكنها لا تبسط اتقيا ضابل هي  
باردة كهذا الشتاء تذهب بالنفس - انها ضحكة اليأس .  
٢٣ يناير - اليوم صحو وهو من الأيام النادرة فى هذه  
الشهور - إن الحرارة حياة فأقبل ايها اخر رحمة بأمتالنا -  
انقد مر على الناس وقت كانوا فيه اكثر تسبيحا لله وذكر  
لنعمه وفضله - إن قدماء المصريين عندما قدسوا الشمس  
لم يعملوا اكثر من أن يسجدوا اقرارا بنعمة الخالق الجليل  
وا-كن عقلم لم يدرك أن بعد الشمس إله .

إن الإنسان لا يستطيع ان يشعر بمقدار فضل الله  
عليه شعورا اعمق من شعوره بذلك اذا رأى الشمس طالعة -  
فأنه عند ذلك يرى فضل الله - سوسا .

ما أجل السماء الصافية والريح الهادئة في هذا السكون  
 الذي يحيط بي في هذه الحديقة وإن الحقيقة لتظهر للإنسان  
 مجردة في مثل هذا الوقت الذي لا يشغل الذهن فيه شاغل  
 وتكون فيه النفس منصرفة عن التفكير في الحياة ومظالمها .  
 هأنأ ارى شيخا كبيرا تقوده ابنة لعلها حفيدته وهو نادى  
 طالبا اليها ان تسقيه فأسرعت اليه مارة على وانا جالس  
 فتبينت وجهها فاذا هو جميل التقسيم فلها عينان سوداوان  
 لكنهما غائرتان في عجزيهما ووجهها صافي البشرة ولكنه  
 أصفر باهت وانفها مستقيم جميل وفهامليح ولكنه منقبض  
 قبضة تدل على تفكير قبل أو ان العقل - حقانها فتاة مايحة  
 لولا صدا الفقر الذي يعلوها - ماذا جنت هذه الفتاة حتى تنشأ  
 نشأتها ثلاث ، فان كل مظاهرها تدل على قوة ولو صح ان الفقر  
 نتيجة ضعف كانت هذه الفتاة من أضعف الفتيات ولكن  
 هذه مغالطة دبرها اضرار الشره والدناءة ارباب الغنى - أنهم  
 يقولون ان الغنى ما اغتنى إلا لقوة فيه وان الفقير ما افتقر  
 إلا لضعف عنده - ما أغرب قولهم هذا ؛ ولكن لا ؛  
 انهم صادقون غير أنه يجب قبل تصديقهم أن نفهم معنى

مايسمونه الضعف ومايسمونه القوة .

أتألو فهمنا من هو القوى في عرفهم لعرفنا انه ذلك  
الجامد الشره الوقح البخيل القاسى الذى لا يتردد امام شىء  
فى جمع ماله . وان الضعيف هو ذلك المتواضع الشفيق الكريم  
الذى لا يرى فى العالم شيئاً أعظم من الحب والايثار .

٢٥ يناير - عاد السعال لأى اشد مما كان وقد زاد  
الى ضيق المنزل الذى انا فيه فهو مظلم ونفسى تحب النور  
وهو بارد وانا احب الحرارة وهو اؤده راكد وصدري لا يتنلى ،  
الامن الريح النائرة وهو ضيق وروحى لا يسمعه الا الفضاء  
الفسيح - ما احب الفضاء وهوائه ونسمه ونجومه : انى لو  
كنت فى العالم وحدى لما ضنقت بخيائى - بل لوجدت فى  
شدتها شيئاً من اللذة لأن الانتصار على المنسقة نوع من  
دلائل الحياة وكل ما يدل على الحياه لذيذ . والسكنى منقل  
بهموء من أجل من احب حقاً انهم لا يظهرون والمساغير  
انى لا انسى آلامهم لحظة - فهى تحت نظرى ما تمحوت  
وهى مخاوف احلامي اذا نمت .

٢٨ يناير - ما احب ذلك المنظر الجميل ! نحن فى الشتاء



ولكن هاهو الزهر منشور يانع في حدائق الجزيرة كأنما  
نحن في ربيع - أى بلادي انتك نعم الوطن . ما أحب ذلك  
القطر المتساقط على وجهي الآن فهو مثل كف رطيب  
يمسح جبينى المتقد - اليس هذا القطر بنانك يا مصر ؟ - وهل  
هذا الريح الذى يهب على صفحة وجهي غير انفاسك الحلوة ؟  
انني لا يتم لي عيش حتى اشعر بكل ما فيك من حر وبرد  
وحى اذوق من كل مطعمو ما بك التى تقدمين واشم من كل  
ما ينبت فيك وإنعاما لا اشرب فيه من ماء نيلك العكر  
اولا اتنفس فيه من هواء خماسينك الحار لعام ناقص مبتور .  
اى بلادي انى اكاد اغفر لمن ظلمنى من اجالك لأنك امننا  
جميعا .

٢ فبراير - حدثتني نفسي غير مرة في هذين اليومين  
بأن اهلك نفسي . ولكن مهلا ايها القلب الترق الذى  
لا يفكر . هبني قتلت نفسي . يا لها من محبة لنفسى اذا خرجها  
من الحياة تاركا ورائى قلوبا تتحرق ولا نستطيع أن نلحق بي .  
حقا أن الذى يقتل نفسه مجرم ولكنى ارى في إجرامه غير  
ما يرى الناس . فأنهم يقولون انه مجرم نحو نفسه وانا اقول انه

قد عمى في حب نفسه عن المغيره وان اجرامه واقع على من  
يقون في الحياة بعدد ممن يحبونه او يعتمدون عليه . ليتنى  
كنت وحيدا ! فأننى كنت استطاع عند ذلك أن اعمل  
مابدا لى ، وأما الآن فلا أقدر على شئ حتى الموت الذى  
أستطيعه لا أملكه ، ولهذا فأتترك هذه الافكار السوداء  
وان العالم لا يزال به من الجمال ما يساعد على ان أنسى ما  
أنا فيه من شقاء ، هذا نوار اللبلاب وزهر الفول فبشرى  
بالربيع الاول ، وها هو الربيع أبصره فى العود ، وقد جرى  
فيه الماء ، وأراه فى الهواء ، وقد قل برده ، وأراه فى الشمس  
وقد زادت نورا - يذكرنى الربيع بأيام مضت - فأذكر  
مدينة (دسونس) إذ كنت صبيا فى صفاء وسعة ، أجرى مع  
اخى المحبوبة - أو اه كيف انت الآن ايها الحبيبة - نعم انها  
صديفة صباى كانت معى وكنا نجرى كصغار العز نشب من  
مكان إلى آخر وتتمتع بين الحفول اليانعة تحت ظل شجر السنط  
إلى جوار التربة حتى اذا حان وقت الغداء ذهبنا الى الدار  
لنلقى وجوها ضاحكة وقلوبا محبة . لقد مر ذلك العهد ويبقى  
الا ذكره وشتان بين حال كنت فيها وحال أما غريق بها

فقد كنت خلياً ، وانا الآن شجى ، وكنت احياء وانعم بحياتي  
وحرارتى وانلذذ بما يقع تحت حسى ، وانا الآن أفكر ولا  
احس بنعيم الا من الفكر والذكرى . وانا الآن فى ظلمة ، وكنت  
حينذاك فى نور لا أرى بعينى الا الى النور . وقد كانت الآمال  
فسيحة أمامى لا أكاد أشعر بغيد يمنى من السعادة ، وها  
انا الا أجد فى نفسى أملاً .

أواه ! أنى احببت أن أنتقل بالفكر من وساوس  
سودائى فإذا بى ارجع اليها برغى — ان الشقى لا يستطيع  
أن ينسى شقاءه ولو حاول .

٥ فراير . لقد عاد البرد اشد مما كان واحسرتاه !  
وقد سادت الظلمة على الأرض مرة ثانية وانطبعت فى نفسى  
وكأنى بها مرة تنعكس فيها احوال الطبيعة ولا تخطى .

ما اضيق العيس رغم ما اعلى به النفس من الاوهام  
عن كل ما قوله وانا بين الرياض آت عن الخيال لاعت الحقيقة —  
وها هى الحقيقة الجاهمة امامى — إن أول شى فى السعادة  
أن يكون الانسان قادراً على العيش وهذا ما ليس لى .  
رحمك يا بى فكأنى بك قدر ميتى وامى واخى ولكن ما

أقصى قلبي اذ أقول ذلك عن أبي! أقول رماني وانا اعلم انه اضطر الى ذلك اضطرارا؛ انه جحود مني ان أنكم كذلك عن والدي - اصل حياتي .... ها، ها، ها! إنني اضحك من نفسي. أقول « أصل حياتي » وهل هذه منة أو هي مجناتة! لعن الله الفقراء أنه كافر فلا أدع ذكر هذا ولا بك حتى أنام عن تلك الهواجس المولمة .

٦ فبراير . ارسلت لوالدي خطابا اسأله فيه عن رأيه في تركي المدرسة لكي اعمل على القيام بواجب أهلي الى جانبه ولكنه ارسل اليوم الى يقول لي انه يفض على لو فعلت . ولكني ساعصى - عفا الله عني . وعفواك يا أبي . سأعصاك إذ لا أستطيع ان أتحمل سكوني .

١٢ فبراير . زرنا اليوم المنحف المصري انا وجماعة من أصدقائي وبينهم جماعة ممن درسوا تاريخ مصر القديمة درسا وافيا . وقد اخذوا يتناقشون في عصور تلك الآثار ويقارنون بين بعضها وبعض من جهة الصناعة والجمال والقيمة . أما أنا فدخلت الى ذلك المكان وكأني في حلم لا ينقطع . فلم تلفت الى شيء ، بعينه ولم انصت الى قصة أثر ولا الى شكل

تمثال فان معنى آخذاً بالأنفس استولى على عفتي - فكأنني بدهور  
 مضت قد تمثلت جميعها أمامي صالحة ( كنا ) - لقد كان  
 الناس ثم زالوا ونحن الآن كأننون ثم سنزول .  
 وقفت بجانب جنة رمسيس الاكبر . وكأني به يتنفس .  
 ثم تصورته اذ كان شاباً تملؤه قوة الشباب وهو على جيش .  
 كبير يقوده للشام حتى اذا ما أتم حربه عاد الى بلاده وقد  
 ازينت وخر الناس عند اتياءه الى الذقون . ثم تصورته وهو  
 في قصره بين خدمه واهله تنتظر عيونهم إشارة منه ليسرعوا  
 الى تلبية ما يريد ربههم . وكم من نظرة له سببت موتاً وكم  
 من ابتسامة من فمه تطاحن عابها المتنافسون : ثم تصورته  
 وهو في موكبه العظيم والناس ينظرون اليه ، ولا يجسرون  
 على الاقتراب منه . ثم تصورته وقد مات ونخيت الحنطين  
 الى جانبه بأيديهم السوداء حتى لسكأنى كنت اراهم يسبحون  
 ويدهنون . ثم تصورت جنازته ولحده بين اناشيد وبخور  
 ورسوم وفيما أنا في ذلك اذ صحت عندما دعاني صديق للسير  
 الى مكان آخر فنظرت فرأيت أن ليس أمامي إلا جنة بالية في  
 بيت من الزجاج أنظر اليها ثم أسير ويجي غيري فيرملها كذلك

ثم يمضى عنها. وهكذا الدهور تنضى وهكذا الاحوال تتحول.  
وهكذا يظن الناس أنهم ملكوا الأرض فاذا هم زائلون واذا  
هى باقية - حقاً إن من فكر فى الحياة وجدها هينة حقيرة خادعة.

٢٠ فرابر. لم يظهر الى الآن شئ بجعلنى أمل فى  
وجود عمل أستطيع أن احصل منه على كسب. وقد  
ارسل لى والدى امس جواباً لمحت بين سطوره الما خفياً  
ولست ادرى ماذا جد.

يجب ألا افكر اليوم كثيراً فهذا الجو لطيف قد عاد  
الى الصفاء والجمال. وما أجمل الحفول اليوم: فلا تترك كل  
شئ، لا تخلص نفسك قليلاً فأعيش ولو ساعات خلساً من العمر  
وما العيس إلا أن يترك الإنسان كل التمسود الاجتماعية  
التي خاقتها الناس ايشقوا بها. قد لعمر الإنسان سنين طويلة  
واسكنه لا يحيا فيها وذلك إذا كانت تلك السنين قد قضاها  
فى تفكير وسعى للمادة - فاذا أمكن الإنسان أن يعيش  
كل عمره لا يتمكر فى المادة عاش ممتعاً بكل عمره. اريد أن  
اخرج وحدى الى الخلاء لكي افرج عن نفسي وذلك سعى  
لتخفيف آلامى لدفينة - واسكن ما أسد حى انفسى ! وماذا

تفعل أُمى المسكينة وهي مريضه وماذا تفعل أختي  
 المظلومة الجميلة وهي بعيدة عني ؟ لأحرمن نفسي تلك اللذة  
 التي هممت بقنصها تحت نور السماء حتى افسد أُمى وأختي  
 انهما - ولا كنت اذا أنا فكرت في نفسي ونسيت  
 من أحب !

٢١ فبراير . لقد ملكت الأنسانية على الإنسان  
 حيوانيته فقد عزمت أن احيا وأخلي فكري من مشاغله  
 فلم أقدر فذا أشقى الإنسان بما يسمونه رفيا وما أحسن  
 النسيان وارفعه بنلى - لأن الإنسان إذا لم يقدر على الخروج  
 من انسانيته خروجاً كلياً كان النسيان هو الوسيلة الوحيدة  
 لخلاصه من آلامه . فبلادام النسيان :

لأنهم كيف يهنا لغير عيس إلا إذا كانت نفسه  
 حقة . مظلمة ولكن نفسى توافه الى الصفاء والأطلاق  
 والسعة وما أشقاها بما تتوق اليه - إن صاحب الفقر المعوز  
 إنما يمد أن يحيا إذا تمت فيه قوة واحدة وهي القدرة على  
 الخضوع . وويل لمن لم تتم فيه تلك القوة فإنه يكون أشد  
 الخلوقات تعاسة - مثلى .

٣ مارس . لقد نفتح الربيع وأطل من زهوره وغصونه  
وتردد في صوت الزرزور وجرى في عروق النبات . ألا  
يحل معه ربيع لهذا القلب الكريم ؟

انا في انتظار خطاب والدى فالיום ثالث أيام الشهر  
ولم يرسل أبى ما اعتاد أن يرسله لى كل شهر وامل في الغياب  
خيرا . أن الخيال مبال ابدأ الى الوثوب والتفاؤل ولهذا  
أجدنى أخادع نفسى عن سبب ذلك الغياب وأقول لها امل أبى  
قد وجد شغلا جديدا سغله عنا حيناً وأن بعد ذلك الغياب  
سعة غير منتظرة . ومن يهوى امل الله أراد به خيراً بعد  
توالى الشدائد . أما أنا فقد ضاقت به جبهى وجوه الحيل  
وتبينت وحدتى في ذلك العالم إذ لا أجد من يسعى معى أو  
يقبل منى سعباً . فلا أصبر وامل الفرج آت من ناحية  
اخرى

٥ مارس . لايوم لم يرسل لى أبى خطابه لئلى اننظره  
بصبر نافذ وقد بدأت اضرب واخذت خيالانى اتجاها  
غير اتجاهاها الأول لآنى شعرت بالهوة اتى تحت قدمى -  
بالهوة السحيقة التى تهددنى بالهلاك فى كل ساعة إذ لا شىء



لى ولا شىء لمن مئى نستطيع به أن نعيش فاذا منع مانع ابى  
من ارسال مساعدته الشهيرة المعتادة لم أجدا مامى مستنداً  
اتكىء عليه . فلا صناعة لى ولا تجارة ولا اقدر أن أكسب  
واحصل على الفوت من عمل ما . فانا عاجز كل العجز واذا  
لم يسعنى ابى لم أجدا مامى إلا الاقتراض أو السؤال أو  
التهب والسرقه . أما الاقتراض فن ذا يقرضى ؟ وأما السؤال  
فلا كانت تلك الحياه الذليلة وأما التهب والسرقه فليس امامى  
باب سواه . فلا حول ولا قوة إلا بالله : انه لم يبق بينى وبين  
الاجرام إلا مرية واحدة .

لأصرف الفكر عن تلك الهوة وليرز الموت قبل ذلك  
الوقوع والى كن إذا زار فلتكن زيارته لمن أحب مئى . فهو  
أهون حظاً للعاه جميعاً .

مـ. اليوم . جاتنى كتاب والدى الساعة وباليته ابطأ  
حتى صباح الغد فأن الليل مقبل وكيف تحمل ظلمة  
الليل ووحشته مع ظلمة ما جاء بالخطاب ؟ لقد كنت فى  
انتظار ذلك الكتاب فلما ضجرا ولكنى الآن حائر يائس  
وما مرارة الآ بعدها مرارة أعظم .

لقد كنت اندفع مع الأمل فتوقعت أن التأخر بشير  
بفرج مقبل تمكن فيه الحياة واقدر فيه على الكفاف ،  
ولكن ذهب الخطاب بكل أوهامي فأظهر لي أن تأخر أبي  
عن عذر لا عن شغل .

• رحماك يا والدي ! لقد كنت أقول اني أفضل الموت  
على السؤال أو الاقتراض وكنت أقول إن الاجرام أقرب  
الى من ذلك فكيف تريدني على السؤال لنفسي ولمن ممي  
ولك ، أأقف امام خالي سائلا ؟ ما أمر تلك الحياة التي لا يجد  
الحى فيها الموت : إن مثلى ومثلك يا أبني ( عفا الله عنى )  
ومث من معى - انا جميعا عاجزون عن البقاء فى نضال  
هذه الحياة فانمت وليبق الدين يستطيعون البقاء فيها قادرين .  
لنمت جميعا ونبقى اهل الطمع واهل القوة واهل الجود  
واهل السعى لأنهم يتقدرون على البقاء فى النضال لنمت !  
لنمت . لنمت !

٦ مارس . للآن لم اعم شيئا وأنا حائر بين الموت  
والدلة . نعم ولو كان الأمر فصر اعلى تفضلت الأول ولا شك  
فان خالى لا يعلم للآن عنا إلا أننا نعيش مستقيمين على ما يرسله

لنا والدى ولا يعرف مانحن فيه من شدة فمإذا تكون  
نظرته إلى ، وهو مثل الناس ، إذا علم مانحن فيه من شقاء ؟  
وإني للآن لم أخبر أمي ولا أظن أنني سأخبرها خوفا عليها .  
ربّ قونى واهدنى فأنى لا أستطيع السير وحدى . وأبقى  
الاهم على إيمان أضن به وأخاف ان ترزعه تلك العواصف .  
كيف قسمت الحظوظ بين الناس إن كنت قسمتها  
لهم — إن الناس يأمون النبعة عليك بامولاي تخلصا  
من تهم والكى باقوا على عقول المحروم غناء وفي يديه  
قيدا . هنا قوم يموتون جوعا وهناك قوم ينعمون وتمرضهم  
البطنة . وهل أنا وامنالى لانستحق عندك الا ما وهبت لنا ؛  
وهن يمتنا وبين أهل اليسار والترف كل ذلك الفرق عندك ؟  
كأنى بقوم الآن يجردون الديول على البسطة من صوف  
وحرير وبأ كلون فى ليلة ما لوجعت فضلاته الكفت عاتى  
المسكينة نهرا وبشربون ما إذا بيع سوره لقام بقوت دهر  
لتقوم يموتون على الطوى . ولكن ماذا يفيد صراخ  
والله لا أمل فى شفائهم ، ليتنى أستطيع ان اخرج صرختى  
هذه فهد صروحا قامت على زفرات البؤساء ومدامع اليتامى

وعظام الصرعى ودم القتلى .

أواه ! فلا تسكت إذ لا أقدر على شيء .

٧ مارس . لم أذهب بعد إلى خالي ( على ) فلا أقم الآن .

لقد كنت أقول إن المادة ليست بشيء . كنت أقول هذا وأنا سائر في الخيال وسط الطبيعة الساكنة . ولكن ها أنا أرى أن الإنسان نفسه مادة وأن المادّة لها كبرياء في الوجود .

إن الحقيقة شيء والخيال خيال - وكفى

مساء اليوم . ذهبت إلى دار خالي ( على ) وصعدت على

السلم ثم عدت ولم أقدر أن أكلمه في شيء - لأنني

أخذت أردد لنفسى ما يحسن أن يرد به على . فببه رفض أن

يساعدني مع علمي قدرته - فإذا أكون قد جنيت ؛ اللهم

الآن خسارة عظمى إذا كشف لي الحق عن خسة رجل من

أهلي فمضات أن أبقى على الخطأ ولا أبصره ، تحنه خوفاً

أن تصكون الحقيقة بسعة كما تعودت أن أراها . فلا أتمس

للمساعدة من ناحية أخرى .

٩ مارس . سعت وظهر لي ماله أكن متحققاً منه من

تحققي الآن وذلك ثني لا أصلح لعمل ما . وماذا أفادني عمر

قضيته في الدرس ؟ إن هي إلا خيالات وأوهام يسمونها  
 تربية وامن الله تلك المدينة الكاذبة . أين لي أن أكون  
 متوحشاً أعرف كيف أضرب بسيفي وارضى بسهمي وأحصل  
 بذلك على قوتي . مرحى للمدينة التي تعلم الشاب كيف يموت  
 جوعاً !

وقد اتاني اليوم من ابى خطاب آخر يسألني عن علة  
 إبطائي عليه وكم يوماً أبطأت ؟ . وبلى — فلا عز مع حاجة  
 ولو غايط اللسان نفسه وإذا كنت لا أقدر على العمل ، فلم لا  
 أنزل بالنفس على حكم الفقر والعجز ؟

نعم اني لا احسن شيئاً — حتى الساب الذي اتحدث  
 به — لا أحسنه بل لا أعرفه ولا أقدر عليه فهو يحتاج إلى  
 نفس غير نفسي .

١٠ مارس . ما اليوم خيراً من الأمس وقد زاد الأمر  
 شدة مرض أمي وازدياده . وقد شكوت إلى أخي ( فهم )  
 فإشار علي أن أنقل إلى منزل آخر — يشير على أن أذهب  
 إلى منزل فيه الهواء طلق والشمس باسطة بساطها — أي  
 أخي ان نفسي تنوف إلى مثل ذلك الذي تشير به ولكن

ما أظلم قيودي حفظك الله من مثلها .

مساء اليوم . عزمت بعد طول ترددى على مقابلة خالى  
(على) امهما كلفنى الامر وذهبت اليه اليوم — والحمد لله اذ مازال  
الخير فى الناس . وشكراً لك يا خالى . ما احسن بشاشتك !  
ذهبت الى خالى العزيز وأما متردد لا اكاد ارفع عينى  
إلى ما حولى وكان معه جماعة لم أتبين وجوههم لما كنت فيه  
من الارتباك ثم هممت بالرجوع وفعلاً بدأت ارجع حتى  
وصلت الى الباب وأما اتعثر واسكنى ذكرت الفشل وآخريته  
وتملت اهلى وقد احتاحوا الى قوت لا يجدونه وتمثلت أبى  
وكأنه يمد يده إلى طالباً أن أقف بجانبه . فعزمت على السير  
فى طابى ولو ضحيت بقاء وجهى . اسكنى عندما دخلت على  
خالى ورجوته فى كلمة لاحظ ارتباكى وترددى فاهل بي  
وهس الى حتى استأنست ثم تجرأت فهمست اليه بما أريد  
فأسرع الى اتاليبة وكان عينيه تعتذران عن انه لم يبادر بالجواب  
قبل السؤال .

يا لك قد جعلتنى أحسن الظن بالناس قليلاً من أجلك  
يا خالى العزيز، فانا الآن اقول مازال الخير فى الناس وجزاك

الله خيرا فلا اظن انى أقدر ان أجزيك .

١٢ مارس . زاد للرض بوالدنى وماذا استطيع ان اعمل وهاتيك يدائى مغلولتان وقد جاءنى اليوم ( فهديم ) وهو يشير مرة اخرى بالانتقال من منزلى الى آخر . يشير على واعدته بالسعى ولكن لا اقدر على مصارحته بالحق . فهو لا يعرف . على انه صديق المخلص - لا يعرف ما أنا فيه من رقة الحال وأظنه لو علم الحق لا يعتقده . فلا أخاله يتهصور أن صديقه الذى لم يشك اليه مرة ضيقاً من أشتى الناس وأشد هم وؤسا .

١٨ مارس . جاءنى اليوم رد أبى يقول فيه :

« والملك ان السبب الذى من أجله طلبت منك الاقتراض مع علمى بقله على نفسك يا بنى ، ان عمك ، غفر الله له ، توقف عن الصرف ، حتى هذين اليومين مع ما نحن فيه من حاجة إلى رى وعزيق . فيا بنى اشكر خالك نائبا عنى وقل له رب اخ لم تلده أمك وأما انت فاعف عنى إذ وقفت بك موقفا كنت احرص على الاتقفه ولكن اظنك تلتمس لى الاعتذار ، بدل الحق على . وحفظك الله وقواك يا بنى » .

هانا ارى الدهر يزداد عبوسا ولكن لا بأس فاعمرى

أنه فيبيع بالمرء أن ينحني أمام النوازل ولا بد من العمل ولو شق واستعصى السعى إليه في أول الأمر . انني كلما نذرت أمي وأختي ذبت أسي فانهما يشقيان بضعفي . ولا تجدان ما يجد امثالهما من العيش . وإني كلما ذكرت ذلك شعرت كأن ماء مناجا نزل على قلبي فكاد يوقف حرته وتأخذني رعده من رأسي إلى قدمي تسكاد ترهق لها نفسي وأحس كأن لحييا يتقد ما بين عيني . إن حنقي على العالم اقل من حنفي على نفسي امجزها وعلى تربيتي التي تعلمني صناعة واحدة — صناعة الانكسار واليأس .

٢٠ مارس . انه السحر في هذا الغضاء . أخرج اليه ونفسي تتمزق للما وئما فابلث الحزن أن يذوب كما يذوب الضباب امام الشمس . فان تلك الانفاس التي كان ينفجر بها صدرى استجالت الى زفير عميق لا يتمزق الصدر بل يروح عنه وهذا الحزن السكام الذي ظل يتردد بين جنبي قد سال اليوم في تلك العبرات الى ذرفها ، وتلك الحبي التي كانت تستع في جيبني قد ذهبت مع النسيم البارد فعدت بعد ذلك الى النبات والامل ، وكل هذا دلالة فاطمة على أن الهموم أعراض من



خلق الإنسان وليست طبائع جوهرية .

رأيت اليوم امرأة عمياء تجرها طفلة صغيرة بالية الثياب ،  
و كنت عند ذلك مهتما لما أنا فيه - فتأملتها وهى سائرة مع  
تلك الفتاة ، وهى تنادى صارخة الى الله تطلب منه قوتاً ،  
وفى ندائها من الثقة بالله ما لم نزعزعه عواصف الفقر . هذان  
شبحان من اشباح الحياة وففت انظر اليهما واعتبر ، فاقبت  
فيهما ما زاد ألى ، ومنظر اليوساء عندى أجل ما يثير النفس  
ويبعث فيها الالسى لأنى أعرف ألم الخوف من يوم يطاع  
لايستطاع فيه الحصول على زاد . ثم اقبأتا نحوى تسألانى  
عطاء مما أعطانى الله . نعم ، فانا من النعمين فى نظرها ،  
فرددت أعطى مما أنا محتاج اليه ام أضن به ، ولكنى لم  
أردد طويلاً والحمد لله اذ وجدتنى استطيع قوت يومى  
ومن يدرى لعل هتين الشقيتين تبيتان على الطوى لو لم  
أجد لهما بيعض مامى

٢٤ مارس . لا ازال اجد راحة فى نفسى من أثر الايام

للماعية التى قضيتها فى الهواء الطلق ، فلا ازال أذكر الليل  
البهيم الجليل ، والنجوم العالية تلمع به ، ولا ازال أنخيل النيل

وهو يمجج مع النسيم، ويرنطم بالشاطئ، لا تقيده قيود، ولا ازال اتصور تلك العوالم في علائها كأنها تنظر إلى أرضنا نظرة الكبير العارف إلى الطفل الجاهل وكأنني بها بتسم سخرية كالمارات أهل الأرض كيف يتطاحنون على السفاسف . وتتقاتلون على أحقر الأشياء - أم يقض الانسان دهره طويلا في نضال وعراك على مدن أصغر من معادن الارض لا يفرق عن سائر الاجسام إلا كما يختلف جسم عن آخر؛ إنني كما أعدت انفسى تلك الصور ذهب عنى كثير من غناء هذا العالم واحتفرت الماديات التى احزن لحرمانى منها كل ذلك الحزن الذى يكاد أحيانا يذهب بنفسى - حقا ان السعادة تكون أقرب إلى النفس إذا تجرد الانسان من مشاغل المادة وخلص إلى الذات البسيطة لذات الحياة الطبيعية ومسرات الهواء الطلق . وقد رجعت فى كل ليالى السانمة بمد هذه الخيالات فلم أستطع النوم فعمدت إلى الديوان الذى كنت اشتريته وأخذت أقرأ بعض ما به وحينما هو من رفيق فإنه لا يترك شيئا أشعر به لا يصوره صورة واضحة جليلة - وقد وجدت به قطعة صغيرة أعجبتنى لأنها

توافق شعورا في نفسى وهأنا اثبتها هنا

الأرض وضاءة الجبين

والريح في رقة الحنين

والشمس محجوبة وكادت

تصافح الافق باليمن

والغيم أسرابه تهادى

ووشها معجز الفنون

فخرة الورد في اصفرار الـ

أفاح من فوق ياسمين

والماء صاف له خير

كهمة السر في سكون

والطير ما بين مستعيد

مرجع سجمة الأنين

وبين جذلان تأثر الله

وبين مياسة الغصون

مثل هذا الجمال سحر

يذيب من سورة الشجون

وبني من الهم ما تولى  
 ظلّامه في سواد قاي  
 سرى بمجرى العروق حتى  
 يضيق بالنفس كل رجب  
 أظل في حيرة سقيما  
 وليس في الخافقين طي  
 حتى إذا ما شهدت هذا الـ  
 جبال يوما رأيت حسبي  
 نسيت في ساعة شجونى  
 وعاد حينا الى لبي  
 وأسفر القلب واستحال الـ  
 أمر من همه لعذب  
 وليس هم الحياة إلا  
 وايدسى الورى لكذب  
 يوم هذا الورى سرايا  
 يزيد بعدا بكل قرب  
 ٢٥

خبرت تلك الحياة ما يه  
 ن حالى الحزن والسرور  
 فدارنى حلوها كؤوسا  
 وذقت من مرها المرير  
 وفزت من لذة بما فا  
 ت كل مستمتع جسور  
 وعشت أيامها ملاء  
 كأنما عشت فى دهور

\*\*\*

لنسمة الريح فى صباح  
 والشرق فى أول السفور  
 وروثق الزهر فى رباه  
 يدل فى لونه الطهور  
 ولؤلؤ الطل فى غصون  
 تهزها سجمة الطيور  
 لذائد النفس فى حياة  
 جهادها آلة الغرور

٣٠ مارس . ما اكرر تردد الانسان وتذيره : فهو ساعة  
 يحتقر الحياة ومادتها وفي أخرى يحس بعبوده الثقيلة فيتغير ،  
 حتى لعد بدا لي ان كل شيء في العالم نسبي وان الانسان  
 يرى الاشياء بحسب حالة نفسه فان كانت نفسه سعيدة  
 رأى الاشياء كلها طيبة صالحة وإذا كانت نفسه شقية لم  
 ترقه الاشياء جميعا - فليس هناك شيء جميل في نفسه ولا  
 شيء قبيح في ذاته والعبرة بحالة نفس الانسان .

ما أحسن الزهد لو كنت في العالم وحدي . فان نفسي  
 لا تتطاع كثيرا انى لدات الحباة لطول ماعودتها الامتناع  
 عنها واخلاص منها ولكن معى غبرى ولا استطيع ان  
 احملهم على مثل ما احمل عليه نفسى - انى أرى أحمى فى مرضها  
 وضيق ذات يدها وقد كانت ربة السعة والكرم -  
 وارى اختى ولا أمل أمامها وقد كان أفصح الأمل  
 عنيقاً فى عيننا لأجابه . فكيف ازهد فى اخيائه ومادتها  
 ومعى مثل هاتين . ولكنى اكاد افقد الثقة بنفسى إذ أقول  
 كل يوم انفسى هم للعامل ثم لا أجدرنى أقدم خطوة فى  
 سبيله . هل سد كل طريق للسعى والعمل ؟ وإذا كان كذلك

فإن اللصوص والسفاك أتعلم منهم كيف يحصلون على رزقهم  
وأكون مناهم؟ فإن المجتمع إذا كان لا يشعر بألمى ويتركنى  
للموت غير مبال فإن أكون أكرم منه بل لا بد أن أكون  
مثله جودا وجشعا وقسوة.

١- اسكن مهلا أيها الخيال أراتنى قد بعدت فى تصورى  
وهياجى - فلا بدأ بالسعى إلى العمل ولا أظن المجتمع على  
ما يصوره الخيال الخائق من الجود والقسوة، فلكل عامل  
فيه مجال لو عرف السبيل الموصلة إليه .

٣ ابريل . سعيت وسعيت وسعيت وارجع وفى قلبى  
جرح دام من الخيبة وزاد يقينى فى فؤلة صلاحى وتنص  
عدتى فى نضال الحياة وياليت لم أقض تلك السنين فى درس  
لا يفيد بل يقتل النفس ويطفىء نارها . وقد بدا لى أخيرا  
أن أطلب من أخى ( فريم ) أن يبحث لى عن عمل وذكرت  
له شيئا من حقيقة أمرى . ثم أرسلت إلى أبى أخبره كذبا  
اننى بخير - ولا بد أن ينتهى هذا العذاب يوما ولوبعد حين  
فإن للحياة آخرا .

٦ ابريل . إن (ش) بك مدين لواندى بيعض المال ولكنه

لا يعرفني وأخشى إذا سألت أبي أن يرسل طالبا ماعنده أن  
يأبى - إني أعرف أنه يأبى لو سألته ذلك لانه لا يضر في  
العالم أحدا إلا نفسه وإيانا، سامحه الله وغفر لي . فلاذهب  
اليه أنا .

• مساء اليوم . أرجع الان من عند ( ش ) بك ولكن  
بخفي حزين ولقد ذهبت اليه وأنا كالمحموم لما كنت فيه من  
الاضطراب والجل ، فلم استطع قولا وأى عذر أقدمه له ؛  
وكيف يعتقد انى حقيقة ابن دائه ؛ ولو كنت قبل  
جئت بأذن من أبي أم أناأت من قبل نفسى ؛ وقد لحظا  
الرجل عند مارأتى انى مرتبك مضطرب ، ولا أظنه إلا حسبنى  
شابا من القتلة جئت لأؤذيه ، فتوارى منى ودخل بعد أن  
سلمت عليه متاعما ، وكان ينظر على كتفه إلى خلف وهو  
مسرع فى مشيته كمن تتبعه أفعى لا يريد أن يقف خوفا من  
لحوقها به . وأعجب نىء أن الرجل لم يصرخ طالبا النجدة ،  
ولا أظن إلا أن الخوف هو الذى أدهشه عن التفكير فى  
ذلك . ها ، ها ، ها . إبنى أضحك برغى عند ما تذكر هيئة  
الرجل وهو ممن يسمونهم العظام . إذ يولى متمرا خائفا



ويتركني وراءه واقفا والكلام على طرف لساني . لقد هون  
 على فتلي أني كسبت شيئا إذ رأيت مظهرا جديدا من مظاهر  
 الناس . مسكين أنت يابك : يابك لن تنام الليلة ، ولو نمت لرأيت  
 ذلك الشاب المضطرب في منامك ماسكا يده خنجرا يهوى  
 به إلى صدرك الأوجوف ، مرحى مرحى ، لقد عرفت أخيرا  
 أن وجهي قد يتخذ شكلا مخيفا ، وأنتى أقدر على إيقاع الفزع  
 في القلوب ، وهذه خطوة لا بأس بها إذ تبين لي أنني أقدر على  
 السع حراما في سبيل الرزق إذا أنا عجزت عن وجود الحلال .  
٩ ابريل . لا يزال لي ما أشكر الله عليه كثيرا . فأمنى

تتحسن حالهما يوما . بد يوم وقد اوشكت ان تقوم من  
 مرضها . ولعل بطء تقدم محتمل العله الدواء وسوء الطعام ،  
 وليكن قوة بنيتها تساعد على مكافحة المرض والحمد لله .  
 أتى كالأذكريت خيبي عند ( ش ) بك اقول لنفسي اتى  
 قصرت ، لأنه كان الواجب على أن أكون أصفق وجهها وأكرر  
 إلحاحا ، فبدل رجوع خائبا كان يجب على أن أسير حتى أرغم  
 الرجل على سماعي ومعرفة ما جئت له ، والخلجل طالما أضع  
 على صاحبه فرصا ، والحق أن أصفق الناس وجهها أكثرهم

نجاحا في هذه الحياة .

١١ ابريل . سرت اليوم في الطريق فوجدت جماعة استرعوا نظري، وهم فقراء، بعضهم مستقل إلى جانب الطريق، وبعضهم جالس يشكو وبعضهم سائر . وهم مختلفو الاشكال والعاهات، فمنهم الأعمى ومنهم المقعد، ومنهم المريض بالرمد والمري بالزهرى والأبله . كل هذه كانت صوراً أخذت أستعرضها حتى انتهت إلى السير إلى شاطئ النيل كما دتني، فنظرت إلى الحاجة المضطربة وكانت تنسى تنوق إلى أن تغوص في تلك الحاجة وتتخلص من الحياة، والحق أن هذا الشعور بما ودني كما وقفت بالنيل . فكانت أصل حياتي ويريد أن يعود الله عنه فينضم إلى أصله، وأخذت عند ذلك أسترجع في الدهن ما رأيت، وأسأل النفس عن السبب في سماء هؤلاء الفقراء الذين مرت بهم . فوجدت أنهم جميعاً يشقون بجزيرة غيرة وأى ذنب إلا بله في بله أو لصاحب الزهرى موزون في دائه أو متعير في فميره أو الأعمى في عماده؟ وأخذت استطرده من فكر إلى آخر أقاب الفروض اعني أجد من بينها فرضاً يقنع نفس الحائرة وينسري معنى ضواهر تلك الحياة . وعند

هذا انتهت إلى عود صغير تتقاذفه أمواج النيل، وكان هذا العود بمثابة وحى هبط إلى، فاجابني عما سألت، إذ رأيت فيه مثلاً للإنسان في تلك الحياة، قذف فيها بغير إرادته، وخلق فكانت الحياة عايه واجبا تجب تأديته على أى حال. وما تلك المظاهر من غنى وفقر وصحة ومرض وسعادة وشقاء إلا أعراضا لا قيمة لها ولا عزة بها - لقد تبين لى منذ رأيت ذلك العود أن الحياة غير صعبة الفهم، فهي ميلاد واجب ثم حياة واجبة ثم موت واجب .

ايها النيل العزيز، لقد كنت صديق احزاني وانت الآن معلم والموحي الى نفسى بأسمى المعاني ، والمجيب على أخفى الأسئلة وأدقها .

لقد جاني الليلة خطاب من صديقي فيم يقول لى فيه انه اوشك ان يمدلى عملا فعسى ان تصدق الاحلام .

١٨ ابريل ما أشد سرورى بمكسب قليل حصلت عليه ! فاقدر اكتب اليوم جنيتها قليلة أنا بها أشد انتباطاً من سرور اكبر الأغنياء بألافه - إن عود الكبريت الضئيل إذا أضاء فى حجرة مظلمة نفس فى

ظلمتها فأوضح جوانبها . ولكن المصباح القوي اذا سطع نوره في الظهر الأحمر لم يؤثر شيئاً . فلا هذاً بذلك المكسب الضئيل وليكن في سواد أياى شعاع من نور .

وقد جاني هذا الربح عن طريق صديقي فهم ، ولعله شعر من طمى له ان يبحث لى عن عمل ، أنى محتاج إلى شىء من المال ، فأحب أن يسرع بالمساعدة ما استطاع — إتنى . أعلم أنه لا يجب شيئاً اكثر من مساعدتى ولا يمنعه شىء أن يقدم لى مايجب مر المساعدة إلا خوف إيلا من . ولا أظنه ألا قدأتى إلى بمساعدته عن طريق يشعرنى بأتنى أنا الذى قت بخدمة له . فانه رجائى أن أقوم يبيع بعض قح من زراعة أبيه ، وقال لى ان أباه طلب منه أن يبيع له ذلك القمح مثل ( سمسار ) ويأخذ نظير عمله جزءاً من الثمن . وعلب منى أن أبيع القمح بداء وأشاركه فى ربح الوساطة — ولم أفن إلى إدراك حقيقة صنع صديقى إلا بعد أن تمت الصفقة وأخذت قسطى ، لأن فرحى بالعمل والكسب أنسانى أن أفكر فى شىء ، ولكن لا بأس بذلك فأننا مغنيطاً ما كان ، وهلم إذن إلى صديقى النيل وإلى الفضاء المتسع حيث اعتدت الذهاب

في ساعات صنيقي ، لأن الحفاظ يوجب على أن أشرك في  
سرورى من أشركه معى في أحزاني ولو كان جاداً . وسأذهب  
غداً لأشترى بعض الملابس لأمر وأخنى فأدخل عليهما  
بعض السرور .

٢٠ اويل . عدت من مفايلة أخى فهم قرب المغرب .  
وقد عرض على آراء عديدة تتماق بالعمل الذى سألته أن  
يساعدنى فى إيجاده . والحق أن كل آرائه سديدة ، وهو بفضل  
عملا كتابيا فى دائرة لصديق والده ( ع ) بك بقرية دسونس ،  
وأنا معه فى ذلك . إبنى كنت أحب فهم حب صديق ،  
والكنى الآن أزيد على ذلك الحب شيئا من الأعظام لأنه  
ناصر لى وفد خطلواتى وقد رأيت به فكر فى ذلك الشأن  
تفكير رجل خبروا العلماء وما كنت أحسب فيه ملك القدرة .  
ولا غربة فى ذلك فهو مخالف لى من كثير من الوجوه ،  
لأنه يحيا مع الناس وأحيا انا أكرأوتى فى الخيال . ولقد  
تركته والأمل «نفس بنفسى» .

رأيت وأنا نأند الى الله نزل شبحا كبيرا من أفقر الناس ولكنه  
خفيف الملابس على قدمها ، جميل الهيئة أبيض اللحية أسمر الوجه

وعلى وجهه ابتسامة لا تفارقه، وكان جالسا ورأى في ( الترام ) -  
يحدث جيرانه حديثا بسيطا ويضحك من حين الى آخر ضحكة  
خالية من الهم . فرالترام يباع (بالونات) حمراء صغيرة ، فناداه  
واشترى منه اثنتين واعطاه ثمنهما قرشين وهو يقول « ان  
لى ابنين يطلبان كل يوم أن أشتري لهما طيارتين حمراوين  
وجبر الخواطر على الله » ثم ضحك وضحك كل من بجانبه  
وضحك معهم ملتفتا اليه . فقال له أحد الجلوس ولكن  
الرجل غلبك ، فإن ثمن هاتين قرش واحد ، فضحك الرجل  
مرة أخرى وقال له « دع الرجل يكسب فالحننة الخفية  
في البيع والشراء »

نعم ايها الشيخ انك تملك قليلا من مادة الدباء وانت  
بها كريم، وهذا سر انطلاق نفسك وخلوك من الهم - حفظ  
الله عليك هدوءك، وباليتمنى كنت مثلك، أوليتنى أقدر أن  
أعود الى بساطتك وقناعتك.

٢٣ ابريل . قد تم عزمى على ترك المدرسة برغم امر ورغم  
ابى لأنهما يابيان . غفر الله لى . ولست آسف على تركى لدروس لم  
أجد منها معينا على الحياة عند الحاجة ، فإن غرض التربية .

أن تمد للناسى ، للحياة والسير فيها ، فاذا هي لم تف بهذا الغرض كانت ضياعا للوقت . اننى اشكرك يا عزيزى ( فهم ) وجزاك الله عنى خيرا ، فأنى لا أقدر أن أجزيك إلا باخلاصى وحبى . إن كان لهذه العواطف قيمة .

٢٧ ابريل . جاءنى اليوم خطاب من ( ع ) بك لى حضر اليه وابتدى ، على كاتبائى ( دأرتة ) ، وإن مسرور بذلك العمل من وجوه عدة بين مالية وغيرها ، ولا سيما لانه بمدينة دسونس التى أحمل لها أحسن أثر فى نفسى من زمن الطفولة ، ولأنى سأكون هناك قريبا من محل أبى فاستطيع أن أزوره أحيانا وأفهمه حقيقة الحال بنفسى ، ولعلى أفلح فى إقناعه بأصابة رأى وخطئى . وسأرسل له هذه الساعة خطابا لأعلمه بأننى سأسافر قريبا لذلك العمل . ولا أستعدن لملافاة غضبه ثابتا .

١ مايو . حادثنى صديق ( فهم ) بالأمر حديثا طويلا وهو يأخذ على أنى قليل الشكوى ، لا أثق بأحد حتى به وهو صديقى القديم ، وقال لى : كيف تسكت طول هذه امدّة مانسية . فلا تقول ما عندك لصديقك الذى تعام ما يحمله

لك ؟ وهل من الصداقة فى شىء أن أجهل داخل حالك هذا  
الجهل ، وألا تبوح لى بسر أو تشكو إلى آلام من آلامك ؟  
إن تلك قسوة منك وقلة ثقة . أى أخى ، كيف تقول أنك  
لا تعرف داخل حالى ؟ الا تعرف نفسى وميلى ؟ الست  
أفضى اليك بما ينبض له قلبى وتحرك له عاطفى ؟ اليس فى  
ذلك كفاية لأن تكون على علم تام بأخيك ؟ ولم أذن  
ازعجك بذكر آلامى المادية ووصف حاجتى ورقة حالى ؟  
اننى كلما ضقت بما بى شكوت الى الفضاء والنجوم ، ولا  
ازال اردد طرفى بين هذا النجم وذلك ، حتى يرتد الى بعد  
قليل وقد تبينت حقارة تلك الحياة وهمها فأسلو بعد ذلك  
سلوا كبيراً ، ولكنى إذا شكوت ذلك اليك أيها الصديق ،  
لم تستطع أن تبعث فى نفسى ذلك الشعور ولا تلك السلوى ،  
وكنت أنا سبباً فى إيلاملك عند سماع ما أنا لم له . فما فائدة  
شكوى لا أثر لها إلا إيلام من أحبه ؟ إنى رأيت أن أكثر  
الناس شكوى أكثرهم حباً لأنفسهم .

٣ مايو . بدأ ميعاد السفر الى محل العمل ، وأنا داخل  
إلى ذلك الميدان بنفس آملة وليت شعرى ما المستقبل ؟...



أقول ليت شعري ما المستقبل وأنا أ كاد أضحك من نفسي ،  
فإن الإنسان لا يزال ينظر أمامه إلى ذلك المعنى المتجدد  
ولا يترك لحظة في أن الحياة كلها بعض دورات من  
سير الفلك .

وقد مررت اليوم بجماعة من المتسولين نياماً على  
جانب الطريق ، وهو طريق من أكثر الطرق ازدحاماً بالناس ،  
فحدث أثناء سيرى أن مرت إحدى المركبات بسرعة تحمل  
رجلاً يلوح أنه من الكبار مالا ، فلما قربت المركبة من أحد  
النائمين أبطأ السائق خوفاً أن تمر العجلات عليه لضيق  
الطريق ، فصاح به صاحب العربى مهدداً شامتا ، فالتصق النائم  
بالحائط والتصقت أنا بها كذلك حتى مر ، وسمعتة يقول  
« وماذا لو مرت العربى على ألف من هؤلاء ، فستريح منهم  
الدينا » .

نعم أيها العظيم أحسنت ! فإن ذاك كان يريح ألفاً من  
الخلق من عناء حياة يقاسونها . ولكن من ذا الذى سلب  
هؤلاء راحتهم وطردهم من بيوتهم وشردهم كذلك إلى  
جوانب الطرق ؟ وأين ذهب قسطهم من الرزق وهم خلق

كيباقى البشر لهم حظ من رزق الأرض ؟ إن هؤلاء البؤساء  
 ما سلبوا ألا ليجمع سلبهم عند أمثالك ، وما طردوا إلا  
 ليفسحوا القصورك ، وما شردوا إلا لأنك تأخذ من ثمرات  
 الأرض أكثر مما لك ، فأنت أنزلهم قسراً عن أقواتهم  
 وكسوتهم ومساكنهم .

أريد أن أبعد عن هذا البلد البلد المتناقضات — بلد  
 الغنى الفاحش والفقر المدقع — بلد الذبول المجردة والأسال  
 البالية ، بلد التخمّة والموت جوعاً ، والترف الفساد والكد  
 القتال . ولعلنى أجد الراحة فى بلد سواه .

٥ مايو . هأنا الآن فى مدينة دسونس قرير العين ،  
 فأختى معى بعد فراق طويل كنت فيه يدمى فؤادى أذ  
 أرانى لا أقدر أن أكون معها تحت سقف واحد ، لأن جدتى  
 كانت تأبى على أن أنزعها منها . وهامى أُمى باسمه بعد  
 عبوسها الطويل وقد قويت بعد مرضها والحمد لله . وهأنا  
 أرى أمامى التربة القديمة وأنا جالس على جانب معشب من  
 جوانبها ، والشمس مائلة الى الغرب ، والنسيم يتهادى من  
 الشمال جيلاً بارداً ، وورأى متسع فسيح من حقول الغلال

والقطن الجديد - هنيئاً لصاحب بضعة فداين خالية من قيود ويفلحها بنفسه وبعين غنياً، يتمتع بالهدوء في ظلالها بعيداً عن الترف والحاجة جميعاً، خالصاً من مفسدات المدينة وأدوائها.

ثم يأتي بعد كتاب من أبي ردأ على خطابي السابق -  
 سألني يا أبي فلو عرفت الحق اعذرني وحمدت ما كان مني -  
 وأرى أن أزوره غداً لكي أوقفه على كل شيء تفصيلاً،  
 ولعل الحديث ينسي ما لا تنفيه الكتابة.

٦ مايو . سرت اليوم راكباً من دسونس إلى مكان أبي، فررت بالأرض التي أحمل لها في نفسي أجمل ذكرى .  
 ورأيت شجرة الزمان التي كنت أنام تحتها وقت الظهيرة،  
 وفوقها الزرزور يملأ الفضاء بصفيحه الجميل وهو لا يرى  
 بين الفروع ، وأسمعه كأننا أنا أسمع موسيقى من ملاك في  
 السماء لا تبصره العين ومررت بحقولها ولا يزال بعضها  
 أشعث أغبر طويل الحشائش وبعضها قد هذبت يد الفلاح  
 فاستمتع من عن الحناء فجاً وقطناً . ومررت بالمكان الذي  
 كنت أزرع فيه "خول السودانى وأقلحه ببدي ، وأنا صبي

حتى إذا زاد الحر عدت بنأسي إلى المنزل فتلتقاني أُمي  
 بالضحك وتأمرني أن اذهب لأنظف نفسي بعد عملي الذي  
 لا يليق بي — مرت بكل مكان في تلك الأرض وكان كل  
 شبر منها يثير في نفسي معنى وذكرى . ولكني لم أقم بها  
 قاتها الآن ملاك يد غير يد أبي، فوالأسفاه ! وكفاني اني  
 ملأت صدري من هوائها وعيني من مناظرها . وما زلت  
 حتى بلغت المكان الذي فيه أبي، وما أجمل مكاناً فيه أبي،  
 ولكنه كان خارج المنزل حين وصلت هناك، وهأنا اكتب  
 هذه الكلمات حتى يعود .

٧ مايو — اجلس الآن لأسقط دمعين — رأيت أبي  
 وكأنما تركته من سنين وما فارقت إلا أقل من عام . فقبلت  
 يده وما أحلاها من قبلة ، ونظر إلى نظرة مأوها العطف  
 والحب والأسف . وقد عرفت اليوم مقدار حبي له وكان  
 قد خفي عليّ حيناً — أنه أبي وهو مثلي وكلانا ضحية لنظام  
 فاسد في هذا المجتمع ، وما أجدرني بالاشفاق عليه . وقد  
 قابلني بنير ما كنت أتوقع : فقد كنت أظنه يلتقاني لأنما  
 غاضباً ، وامكنه ذبابي عاطفا متهللاً . فذهب باكبر عتة

عن نفسى، ويلوح لى انه راض عما فعلت . والآن استطيع  
أن اضم ما أكسب على ما استطيع أن يرسل لى ، وسيكون  
ذلك كفيلا بحياة طيبة بمد طول أمد الضيق والمسر  
وشكرا لله .

٨ مايو . أضف صحيفة الى صحف الشقاء . فإن أبى عند  
مالقية ، أول مرة أول أمس كان يخفى عنى امراً خطيراً ، ولعل  
هذا سبب قلة غضبه على تركى المدرسة . وهاعد تبينت  
انى آله للقضاء أسير معه لفرض سام يخفى على الناس . نعم  
فقد اصبح أبى الآن على وشك أن يترك تلك الأرض  
ولا يعلم الخطوة التى تلى ذلك الترك ، ولست ادرى ماذا كان  
يؤول اليه امرنا لو لم يدفعنى الله إلى الرغبة فى العمل ، ويوقفى  
الى وجوده فى هذا الوقت . واغرب شىء فى الامر أن  
عمى هو السبب فى ذلك ، ولو سمع أحد الطريقة التى اخرج  
أبى بها من ملكه لحق على مخرجها كائنا من كان فما بالك  
لو كان هذا اخاه الشقيق .

لقد كان أبى يملك كثيراً ثم دبس له الدهر ، فبقيت له  
قطعة من الارض نحو افدنة عشرين ، وكانت ملكا لأمى

ولكنها باسمه ضنا بكرامتها أن تنزل في معترك الحياة  
 المادية، وكنا عند ذلك في آخر أيامنا في المرة الأولى في دسونس.  
 فلم يدري يوما إلا وعمى يزورده ويعرض عليه فكرة الاشتراك  
 معه في شراء ارض متسعة، وأخذ يؤثر في قلبه من كل طريق  
 حتى رضى أبى أن يبيع ارضه ويدخل معه في شركة، واخذ  
 أبى بعد ذلك يعمل جهده في الاصلاح - وهو رب الفلاحة،  
 حتى أصبحت الارض جديرة بالفخر، وانتظرنا خيرها،  
 وعند ذلك توقف عمى فجأة عن السير معه وأخذ يماكس  
 كل عمل يقوم في عزم أبى، حتى انتهى الامر بعجزه عن  
 السير وحده، وضافت نفسه من المعاكسة، وكره  
 المقام على حال كذاك. وما كان اعظم سروره عندما ارسل  
 نه عمى يوما احدا صحابه بعرض عليه أن يشتري منه نصيبه  
 في الارض. كل ذلك ولم يقل لنا أبى شيئا، ولم نعلم مما وقع  
 شيئا، الا ان أبى كان يقلل مما ارسل لنا، فوقعنا في أشد ضيق  
 كادت نفوسنا تزهق منه. ثم تمت الصفقة، وماذا حصل  
 أبى من ثمن الارض؟ انه أمر مضحك مبك في آن!  
 كان الاتفاق على اقساط ثلاثة، لم يدفع منها إلا القسط

الاول - ودفع بين حيوان نفق، وبين دين يحصله ابى واكثره  
 لم يحصل. ومحصل قدر قبل ان ينضج قلم يأت بما قدر له -  
 انى اكاد لا اصدق نفسى، ولكن هذا هو الحق ولم يستفد  
 ابى من قسطه الاول بشىء يذكر. واما الله بط الثانى فلم  
 يحل بعد ميعاده، واما الثالث فمن يدري انعش حتى يحل  
 أجله؛ فإنه بعد سنين خمس.

يالىت ابى ثم يخبرنى بشىء. فأتى لو بقيت على جهلى  
 لكنت اجد تعة فى الأمل الكاذب. ولكنى تركت الآن  
 الى الحقيقة المرة لا يخفف منها خداع مرفه.

١١ مايو. عدت أول أمس إلى دسوانس، ولم أجد من  
 نفسى ميلاً لكتابة مما مر بي من النعم فى هذه الأيام الماضية،  
 وتأسأتى أمتى عن سبب اقباضى. ولكن لا أقدر على إخبارها  
 بالحق. فلتبق هى على جهلها فإن فيه عزاء حرمت أنا منه -  
 لا يبقى إلا عملى وأحمد الله عليه، ودونى آمال محطمة  
 أينما أوجه بصرى.

١٢ مايو. أن نفسى نزاعة الى الانطلاق، كاتما هى مخلوقة  
 من هواء الصحراء ومن حر شمسها المحرقة. فهى تنزع

دائماً الى ذلك الخضم اليابس ، ومن لى بان اطيعها فاخرج الى ذلك التسع فأضرب فيه حيث لا أرى شيئاً لوئته الحضارة ، وأعيش هناك بين أهلها الوحشيين ، فهم فى عيني أكرم ممن أراهم من اهل تلك الارياف .

نارت بالأمس مسألة بين الناس ولا حاجة بى إلى ذكرها . فوجدت كلا منهم يقيس منفعة المادية . وما يطلب منه بذله فى سبيلها . ثم يهز رأسه قائلاً : « لا إن الامر لا يستحق أن أشارك فيه » ولم يذكر أحد منهم ما يعود عليه أو على الناس من نفع معنوى ، ولم يذكر أحد منهم كرامة ولا عزة ولا شرفاً .

ان اجلاف الصحراء احب الى واقرب الى قاي من أهل تلك القرى ، استغفر الله الا قليلاً ممن احب ، فان نفسى ما زالت تحن الى الرجولة فى كل صورها ، وتنفر من التخنث والترف والدناءة وحب الذات والطمع واسر المادية . وتلك الصفات وياللاسف أقرب الى أكثر سكان هذا الوادى .  
إني اهيم احياناً فى الخيال قاداً أنا فى حلم يقظة ارى نفسى فيه بين اعراب تلك الصحراء البعيدة الاطراف ، وأنا واحد منهم ، واذا بى كأنى ارعى سواما انتقل بها فى بطاحها ،



يبرق تفتح الهواء، ولفح الشمس . وكأني وأنا كذلك اسمع  
صرخاينذر بمجيء قوم يريدون الاستلاب، فأتكعب بندقيتي،  
وارجع الى نجعي، فأجد قومي قد شمروا عن ساعدهم كرجل  
واحد، ليزودوا المغير عن عرضهم، وليحموا ما لديهم من عيال  
ومال . فأسرع معهم قائلا

وهل أنا الا من غزية إن غوت

غويت وإن ترشد غزية ارشد

وعند ذلك لا يذكر أحد مالا ولا حياة، بل نذكر جميعا  
عرضا نحميه . وشرفا نحوطه من القذى، صننا بشوكة أن  
تستلان، وبرجولة أن يطمع فيها طامع .

والكني لا أستمع طويلا في ذلك الحلم، لأن أمي  
تناديني لأصحو من حلمي، وكان نداؤها لي بالأأمس « قم  
فالساعة الآن السابعة يابني »

ما اشد الاسر والقييد بعد تلك الحرية الخيالية : ولست  
أدرى ماذا كنت أفعل لو كنت وحيدا . ان أكبر ظلي  
أن اكون ضاربا في الآفاق لا يستقر بي مقام حتى أموت .  
مساء اليوم . رجعت الى ديواني المحبوب الذي ارجع

إليه إذا شجيت، فوجدت به قطعة شمر تثل شعور شاب  
يمثل ما شعرت به بالأمس واليوم وها هي :

خير من غنى على فتن أيها القمري  
ممت تشكو والوجد في وهن في سنا البدر  
نحن خلان على شجن فاحتمل مري  
أنت من يؤمن في زمن قلما جاد بتؤن



غنّ لي لحنا أردده تشف من سقي  
فالجوى في القلب يوقده والأسى يدمى  
طال ليل بت أسهده ثابت النجم  
أين صبح كنت اعهده صائح في الليل يشرده



أسلاك العمر على ملل ساريا وحدى  
ساريا في مهمه قفل في ربي جرد  
لا أرى طبّا على على من صفا ود  
بئس عيش غير محتمل مقفر من سلوة الأمل



يرتجى قاي السموالى مرتقى النجم  
ضاربا فى مجده متلا للعلا الم  
ناصر للحق ما حُذلا جاحد الضيم  
ليس يستبغى الحياة فلا يدرك الا ذلاله كتملا

وافؤادا كنت أحمده فى حنا صدرى  
حاطه غل يقيده عن مدى الحر  
طالما هم فنعمده ذلة الاسر  
كيف يساو الايث تصده أو يقدا السيف تغمده

سوف آبى الدل معنمدا كاسرا قيدي  
«أرا فى اجر متقدا بوره الاسد  
هائما فى الافق منفردا فيه عن عمد  
قد أرى كالكفر من عمدا فى هوان لا يهز يدا

ما حياة المون فى نحس بين أوجاع  
سوف تنعى الغدا لأمس دعوة الناعى  
آخر الحرص الى رس بعد إطماع  
مرحبا بنوت والنفس فى حمى العزة واليأس

٢٠ مايو . حل ميعاد القسط الثاني من ثمن الارض حسب شرط أبى وعمى ، واست ادرى ما سياتخذ ابى منه هذه المرة ، فاعلمه لا يخرج من هذا القسط كما خرج من سابقه . لأننا نحتاج إلى شىء من المال ، ولأن دين خالى واجب السداد ولو أنه لم يطلبه . وإن ابى لا بد حاضرا الى بعد قليل ، إذ أن شرط عمى معه ان يخرج من الارض عند دفع القسط الثانى إذ قابى وجميع فيحسن بى الا افكر فى شىء ، وليكن ما يكون .

٢٢ مايو . جاءنى اليوم كتاب من ابى يخبرنى فيه ان عمى لم يسدد له القسط مع حلول أجله ، ولكن طالب اليه ان يخرج من الارض إذ أصبح لا علاقه له بها ، فلما راجعه قائلا إنه اتفق معه ان يدفع له القسط الحال قبل خروجه . قال له إنه سيدفعه له بعد قليل ، ولكنه اصر على خروجه من الارض ، وهامى درجة جديدة من درجات السقاء . واليوم فالتى أسد المعارف وقال انه رأى ولدى عمى يسترياز ملابس غريبة ، فمن قبعت الى سراويل للركوب ، الى أحذية ذات رهاب عالية . فله أسألها عن ذلك اخبراه أنهما سيذهبان

ليحلا محل عمهما في إدارة الأرض وزرعها . حقا انها مكيدة مدبرة، وهذان إبناعى يستعدان لحياة جديدة يدخلان اليها بهيئة كاملة وزينة تامة، كأنهما من رواد المستعمرات الافريقية. أقبل إلينا يا أبى أقبل، فان قلوبنا تتسع لك شوقا وحبا وعطفا . أقبل يا أبى فقد نالك أذى كثير من أعز الناس عندك . ممن طالما أسأت إلى نفسك وإلينا بغير قصد من أجل الاحسان اليه . ان القليل الذى تعيش به يكفى حياتنا جميعاً، ونريد بوجودك ينشأ قوة على احتمال الضيق، فأنت ابى وانت بركة لنا .

احمد الله إذ خالفتك وخرجت من المدرسة لأعمل ، فقد قضى الله ذلك إذ اراد بنا خيراً برغمك وبرغم امى وبرغمى انا ايضاً .

لقد عزمت ان اخبر امى بكل الحقيقة حتى لا يفجأها محبى ابى .

٢٣ مايو . ما كان اشد كدر امى عند سماعها بخبر الخسارة التى حلت بنا، واراها الآن تظهر الألم بعد ان كانت تخفيه فيما مضى، ولها العذر، فلها رأيت ان املا كانت تتعلل

به قد اصبحت كاذبا، والانسان يحيا بالامل في المستقبل، فاذا هو رأى الامل انهار، فكشف له الحقيقة الجاهمة تنظر اليه. محزنة، ذهب عنه ما كان يبصره فشر بالشقاء المحيط به، وذهب به اليأس كل مذهب.

٢٤ مايو. أتى ابى واجتمع الشمل، بعد تفريق طويل، ولكن على غير ما كنا نأمل ان نجتمع عاياه، وانا مع ذلك مغتبط بوجوده بيننا، واشعر من نفسى بسعادة كبرى عندما افكر فى انى اقوم بالواجب على. ومع ذلك اجدنى حزينا من جهة اخرى، وذلك لأننى اعرف ابى واعرف انه متكبر وقد يتألم إذ يرى نفسه قاعداً وانا عامل، ولو عرف الحق لأيقن انه انما يسترد ديناً وليس يتأقى فضلا.

٢٦ مايو. ان وقت الشك اكثر الاوقات شدة على النفس، فاذا ما مضى الشك استقر القلب على اليقين ولو كان مؤلماً. فما اعجب قلب الانسان ! لقد كنت اذا فكرت فى مثل الحالة التى أنا بها الآن ضججت وخفت، ولكنى على تقيض ذلك الآن، اجد حياتى محتملة، وان شئت قل انى اجد فيها شيئاً من السعادة. فالحق ان توقع الخطب اشد

في خيال الانسان من وقوعه . وقد صدق المتنبي إذ يقول  
كل ما لم يكن من الصعب في الآن

فس سهل فيها اذا هو كانا

٣٠ مايو . مات رجل بالامس وهو من اغنياء البلاد،  
وخلف لأبنته ثراء طائلا، وابنته وليد لم يتجاوز الحول الاول  
من عمره بعد . وبهذا اصبح الوليد رب مائة الف جنيه في  
العام الواحد . وهل ذلك الوليد خير امثاله من رضى اللب  
الذين يفرض القاضى لهم نفقة قرش كل يوم ثمنا لما يكفيهم  
من لبن البقر ؟ وهل اذا كر الولد فأصبح صبيا ، ا يكون  
غير امثاله من الابناء الذين لم يترك لهم الحظ الا الخبز وعود الفجل  
وجوانب الجدران في الطرق ، وإذا صار رجلا ، ا يكون  
غير سائر البشر الذين يحصلون على قوتهم بالكسب القاطع ؟  
اذن فبم ميزه القدر منذ ولد : ام هذا من ظلم الانسان  
نفسه ومن جور شرائع الحياة : ان الانسان يسير على سنن  
الماضين لا يفكر ولا يصلح ، فأصبحت الحظوظ تصيب  
عمياء فنظم افواما ونحاني قوما ، وهل الحفر السحيقة حفر  
الفقر الا نتائج انك القلال الشائخة ، قلال الغنى : فالعالم

كفتا ميزان ما رجحت كفة إلا على خسران الكفة الأخرى.  
 إذا دامت أنا شقي من بعدى بضع أنفوس ، على حين  
 يولد ذلك الوليد رباً لنعيم حجز له ، وصاحب ثروة جمعت  
 من أجله ؛ يجب ألا أفكر في ذلك. وما أجمال الاعتقاد في  
 وجود الله الذي يخاف على من لا عائل له ، ويحى من  
 لا ذائد عنه . أن ذلك الاعتقاد الجليل يهون على الإنسان  
 هوماً كثيرة ، وأن الأحمق الشرير هو الذى يسعى ليزيل  
 هذا البلمع عن عقول الناس . فنى الله عزاء البؤساء ، وبه تعلق  
 الآملين وله صبر المصابين

٣١ مايو . رأيت اليوم فتاة صغيرة جميلة تحمل خطاباً  
 جمعته من حواف الحقول إلى بيت أمها المسكينة ، وكنت  
 جالسا على حافة الترععة عندما ألقت بحملها إلى جانبي لتستريح .  
 فأحييت أن أنظر إلى نفسها كما نظرت إلى ظاهرها وجهها ،  
 فلم أجد في ذلك صعوبة لأنها كانت تجيب غير خاشية شيئاً  
 وملؤها الثقة بنفسها . وما زلت أحدثها وهى تجيب ، غير  
 شاعرة بما يجول فى نفسى ، حتى تنهت أخيراً إلى سؤال جعلها  
 تشعر بشيء من الارتباك . وذلك عندما أخذت أسألها عن



نفسها ، فانها أخذت عند ذلك تظهر لى الكره فى اجابتها .  
واكنى لم أقصر عن سؤالها ، رغم ما شعرت به من الألم  
عند مالوت وجهها معبسة ، وقبضت فيها المليم كارهة نافرة .  
فلما أن سألتها « وهل تحبين حياتك هذه مع حمل هذه  
الأحطاب ، والسير على هذه الأشواك ، وأما تظنين انك  
حقيقة بأن تسكنى أكبر القصور أيتها الفتاة ؟ » لم أجدها منها  
رداً واضحاً ، بل رأيت على جبينها عبسة ، وفى عينها نظرة  
غريبة ، أعلمتني أن تحت ذلك المنظر الجميل نفساً قوية ثوارة .  
فلما رأيت الاستياء باديا عليها أخذت الألفها وأظهر ان  
قصدي لم يكن به شك ، والله يعلم صدق قولى ، ولكنى لم  
أجد منها بعد ذلك إقبالا ، بل سارت غني وهى تمسح بقدمها  
الصغيرة قطرات الندى المنثورة فوق خيوط العنكبوت  
كأنها عقود اللؤلؤ ، ثم سمعتها عن بعد تنادى فلاحا شيخا  
تقول له « صباح الخير يا عم صالح » . واختفت عن عيني  
تاركة خيال وجهها الوضاء ، وعينها السوداء الواسعة ، وأنفها  
المستقيم ، ولونها الحمري ، وفيها - نعم فيها الذى ظهر حيناً كأنه  
زهرة باسمه ثم إذا هو مثل قم تنال جامد عندما ولت عني

وقد رجعت إلى منزلي مملوءاً بصورتها، فطابت الديوان-  
صديقي وقرأت فيه وهي تلوح لي بين سطوره، حتى عثرت  
على قطعة كأنها كتبت في صفها، ولكنها على زهرة في  
الصحراء. وما هي :

يبدأ لا يهوى بها ناظر

إلا على صخر هشيم جديب  
جر عليها الموت أذياله

وأعولت فيها سموم الجنوب  
رمالها كاللوج وثابة

يعلوها فوق الكتيب الكتيب  
والشمس ترقى الأرض عباسة

شعاعها مثل حرور الالهيب  
لا غصن يأوى عنده متعب

يظله تحت لواء رطيب  
ولا غديراً تشتنى غله

برشفة من مجتناه الشيب

رأيت في أثنائها زهرة  
 مشرقة وسط موات الرمال  
 تفوح عنها نفحة مثلاً  
 يضوع مسك عن ثياب الدلال  
 جبينها كالفجر ذو هجة  
 كأنه معقود مال زلال  
 تميل ميل الخود في خيائها  
 تتلث فيها معاني الجمال  
 يا زهرة عهدي بأمثالها  
 في كل بستان كريم الظلال  
 ما كان متواك سوى روضة  
 بين الندى العذب وريح الشمال

\* \*

الرهرة

قلت وقد أزعجها مقدمي  
 وأنكرت مني حديث الفضول

ما ذلك الروض وماذا الندى  
 أراك ترميني بقول ثقيل  
 أنى أحب الشمس فى حرها  
 وأستلذ الريح ذات العويل  
 وقد الفت العيش فيما ترى  
 فليس يرضينى به من بديل  
 تفتحت عيني فى ضحوة  
 وسوف أغضبها بُميد الأصيل  
 وفى غدا مضى كما قد مضى  
 من قبل ازهار الزمان الطويل



يا زهرة البيداء عفواً فما  
 رأيت مثل اليوم كذب الظنون  
 عداك همّ العيش يا ليتنى  
 أنسى كما أنسيت تلك الشجون  
 من لى بأن أبرأ من على  
 فأشتقى من داء هذا الفتون

عرفت فيما عشت ، في ساعة  
 ما اعجز الخلق طوال القرون  
 يا ليتى منك في مهمه  
 حيث حيناً وادعاً في سكون  
 حتى اذا ما فات يومى ذوى  
 عودى فأمضى لا ترائى العيون

٤ يونيه . أتتى انسى الحقيقة أحياناً فأسعد فى النسيان ،  
 حتى اذا ما عاودتتى الذكرى عدت الى شـقائى وآلامى .  
 وها أنا ارى الحقيقة مانلة امام عبنى محمقة إلى تكاد تصعقنى  
 بنظراتها . ان الأيام تمر بسرعة ولا أرى امام اخى باباً  
 الى السعادة المرجوة للمها . وما أضيق صدرى كلما فكرت  
 فى ذلك ، فأنى استمر عند هذا أن السماء تكاد تنطبق على  
 وبأن الجو المتسع ضيق ثقيل الهواء . أين الآمال التى كنا  
 نبنيها لهذه المسكنة التى يجرها البؤس معنا إلى هوة  
 برغمها ؟ لقد مر علينا وقت كنا نعتقد انها ستكون زوجة  
 لشاب من اكبر الشباب همة وقدرأ ، وكنا نضن بها  
 على من نراهم اليوم أكبر من أن تكون شريكة حياتهم .

ولقد كاشفت والذى بما فى نفسى عندما زاد بى الهم على قدر  
احتماله وحدى، فرأيتة يهزل لولى أكثر من اهتزازى أنا له،  
ولكن ماذا يستطيع؛ أيقولون فى العالم عدل؛ وقاباه؛  
٨ يونيو . لم أر أبى يوما أشوق الى العمل منه هذه  
الايام، وكأنى المح منه استكبارا أن يبقى قاعدا - أن أبى  
سخرى النفس كريم القلب، والسخرى بوجود بكل شئ، ألا أن  
يبذل شيئا من كرامته، فإن الحياة نفسها تهون دون ذلك .  
لقد كان أبى لايهم كثيرا للمادة، وقد ورثت كثيرا من تلك  
الصفة منه . وقد ضحى بكثير من مصاحته فى سبيل  
من أحبهم، كاخيه سامحه الله، ولكنه لا يهدر أن يرى نفسه  
متكلا على سعى أحد، ولو كان ابنه .

١٠ يونيو . ظهر لى اليوم السر الأكبر فى شدة حب  
بى فى العمل . فأنى اشعلت فى قلبه نارا محرقة عند ما ذكرت  
له اخى والأمل الذى كنا نبذنه لها فهدم قبل أن يتم،  
وقد لمح لى بذلك عند حديثه ليلة الأمس - امدأخذ أبى  
اسرد على تفصيل ما صنع معه عم حتى كدت أبكى، ودل  
لى أخيرا وهو يحمر الوجه رغم صفوته الطبيعية « أنه طردنى

يا بني ناسيا كل ماصنعت له « ، فلما أن رأى ما على شفتي من القول قال لي « ولكنني اقول لك ذلك لتأخذني درسا في الحياة ، وتعلم ما بها ، حتى لا تنقر كما انقررت أنا بالمعاني الخالابة ، معاني التضحية والايثار . ولكن لا بد أن تعرف يا بني أنه عمك وأخي - سامحه الله . - لا تؤاخذني يا بني إذا قلت إنك لا تحسن صناعة الحياة بين هذا الخلق ، وليس ذلك ذما بل هو عندى اكبر وصف للنفس الطيبة .

١٢ يونيو - لقد توفق أبي بعد بحث طويل الى مورد للكسب وهو تأجير أفدنه بجوار المدينة ، ويريد أن يذهب اليوم ليراه ، وهو يكاد لا يسكت لحظة عن السعي الى العمل .  
مساء اليوم . عاد أبي من رحلته لمعاينة الارض وكله سرور ، فهي لا شك صفقة رابحة . وقد قابله الأهالي وكلهم يود أن يؤجر منها شيئا بأجرة لا بأس بها ، فبذا لو تمت فتروى نفوسا ضراء . ولكن لا زال يتمصنا المال وهو لازم لكي تتم الصفقة . وأعتقد أن هذا ممكن ، اذ ان اخي فهم لن يتردد في مساعدتي ، وانلته يستطيعا ، فسأرسل اليه غدا في طاب ما نحتاج اليه ، وسأرجوه أن يكون شريكا في

## تلك الاجارة .

٢٠ يونيو . جاني رد فهم وهو يعد بالمساعدة في حالة طلبها، فشكرها له مرة اخرى . اني كلما ذكرت فهم ذكرت ايام التامذة والصبا الاول، وتخيلته وهو الى جاني في كل جولة وكل مجاس، لا تحتفى عن أحدنا نبضة من قلب اخيه ولا حركة في قرارة نفسه ، وأرى أن عهد الصبا هو عهد تكوين الصداقة الصحيحة الخالصة ، وأحر بالناس ألا يضيعوا تلك الأيام الطاهرة تمر بغير أن يمدوا للحياة عدتها من اتخاذ صديق وفي ، فأن اصدقاء الحياة المادية أنما يلتصقون بظاهر المرء، وأما صداقة الحياة الألى فاصيقة بالنفس ومنبعثة من الحياة ذاتها . ولكن أمرا واحدا يعكر على صفاء تفكيرى في ذلك الصديق . وهو انى لا أذكره ألا وأذكر تكرمه على مساعدته لى ووقوفه الى جاني بغير ان أصنع له شيئا نظير ذلك، والذى يزيدنى به اعجابا انى أراه فانما بموقفه منى، راضيا بأن تظل يده العليا لا ينتظر منى جزاء . وبلاذ : إننى أنال وأغبط نفسى به فى آن واحد ، وليس لى ما أقدر أن أكافته به ألا انى أحمل بين جنبى قلبا يذكره عند كل



نفس، ويعرف له جميله، ويتمنى لو استطاع أن يملك ما يخدمه  
به، وحسب المقل مثل ذلك .

٢١ هـ نه . ذهبت عقب تفكيرى فى فهم ايلة الأمس

الى متجعى موزع القلب، فلما ان غفوت رأيت فيما يرى  
النائم كأنى بعد طاباً بالمدرسة، وأخذت مناظر ذلك العهد  
تمر على صورة صورة، ولم تكن صورة منها غير حقيقية بل  
إنى استعدت أشياء كنت قد نسيتهما كل النسيان، وما أغرب  
الأحلام : فكان ذلك الحلم أعاد من عرفهم صغارا فى  
المدرسة، وأرجع الى الدهن صورة كل منهم اذ كان صغيرا .  
وقد نهضت المود من نومى والصورة منتبجة فى ذهنى  
واضحة وسطعت أن قرن تلك الصورة الماضية بأشخاص  
هذه "المود شاد" وحت : وأى فرق تفعل السنون ؟

تمد كان من سنة اقوم كتنا نراهم نابين عملاء ، كانوا  
سبهون الرجال . وكوا فى نخرنا من خير الناس عملاء ، فاذا  
ثم الآن من أخل اعمام ين وأفاهم فى الحياة غناء ، وكان فينا  
مود كذا نراهم نزار العمول من نوى الماب والخفة ، فأصبحوا  
"مود دة" من رجال "معل ولرزاة" والصلاح . حقا ان الطفل

فى نفسه مخلوق خاص بنفسه، ويجب أن يبلغ كمال الطفولة من لعب ولهو وخفة، قبل أن يدخل الى دور الرجولة . وإن الطفل الذى يكون رجلا قبل أن يدرك كمال الطفولة لن يكون رجلا كاملا كذلك . فإذا اردنا ان يكون لنا رجال من ذوى القدرة، فلا بد لنا أن نفكر أولا فى أن يكون أولادنا اولادا بلغوا الكمال فى طفولتهم - أولادا مرحين ياحبون ويخاطرون ويمجربون بيدهم العمل، ويفتحون أعينهم الى الهواء الطلق والطبيعة القوية . فى ذلك الاحتكاك بين الطبيعة والنفوس تتولد القوة على البقاء فى نضال الحياة . فقد هممت ان أقول رأى هذا للناس، ولكن لأظن أحدا يعنى برأى منى . فلا أسكت انقاء على ماء وجهى .

ارسل عى لاني قليلا من قسط الارض، ووعدته بان عطيه الباقي، وهو الأكر، قريبا - أما انا فلا أضنه يفعل .  
٢٥ يونيه . لم يقدر أبى أن يتفق مع الرجل صاحب الارض على الشروط التى يمكنه أن يستأجر بها، وقد اهتم لذلك كثيرا .

ان ابى يكبر فى عيني كل يوم، وأنتقص أنا فى عين نفسه

كلما تذكرت أن الضيق كاد يوماً يحرفني عن أكباره بعض الشيء - سامحني يا أبي فانها زلة من زلات الشباب الجاهل .  
 أن أتي لأعمل العمل على كبر سنه ، فهو يقضى في العمل أكثر النهار ويتأخر في الليل على غير عادته ، وأني أخشى عليه من ذلك ولكنه لا يثنى ، ولا يجب ملاحظتي ألا بإتسامة خفيفة . ويخيل لي أن حبه الوالدي قد ملك عليه نفسه منذ ذكرته بأمر أختي ، ساعده الله . وأني أكاد ألوم نفسي على قولي الذي أثاره تلك الثورة ، فلا يكاد يسكن . فبالأمس كان في دمنهور ، وسيذهب بعد حين إلى كفر الشيخ يرى أفدنة هناك بلغه أنها جيدة .

أول يولييه . قبات يد أبي إذ ودعته على المحطة ، وهو ذاهب إلى كفر الشيخ ، وكأني لم ألمح نحوه إلا عند ذلك فتأملت الماكيرا ، اذ يذهب هذا الشيخ الضعيف وحده إلى برازي تلك الأقاليم ، وهو يشكو في نخذه الماياعاوده كلما أجهد نفسه في السير ولو قليلا . وقد وجدته يجتهد أن يخفي عني كل تألم جسدي ، خوف أن اثنيه عن العمل .  
 اني كلما تذكرت وجهه الشاحب المثل من النافذة . شعرت

في قاي بوخزة كوخز الحراب، ولت نفسى اعظم اللوم.  
 على أنى لم أذهب معه، فأكون قريباً منه في تلك الرحلة  
 الشاقة، التى لا بد يصيبه منها تعب عظيم. وأتذكر الآن  
 دعاءه، فيذوب قلبى - لقد رأيته هذين اليومين ينظر الى  
 نظرة لها معان أحس بها ولا أقدر أن أفصح عنها. وأقرب  
 هذه النظرات كانت اليوم فى الصباح، اذ أعطيته ما جاءنى  
 من الوظيفة، فأنه قال لى عند ذلك ناظراً الى تلك النظرة  
 الناطقة « لقد قعدت يا بنى وانت تكذبلى، وما كنت  
 اظن أن الله سيأتى عليك هذا العبء فى هذه السن، ولكن  
 هكذا شاء الله، ولما كنت تستطيع ان تقيم بناء متهدماً». فقالت  
 له « والله أنه يؤلمنى اشد الألم انى لا أقدر على أن اجبىء  
 بما ترضى له نفسى، ولو ساعدنى الحظ على ما احب.... »  
 وهنا خنقتنى عبءة زادتها نظرته حرارة، فسح بيده على  
 رأسى وقال لى « بارك الله فيك يا محمد، فان قايلك كثير لدى  
 يا ولدى ».

أحبك يا أبى وأعظم فيك ذلك الكبير، ابقاك الله  
 بركة وسلاماً لقلوبنا.

٤ يولييه . عاد أبى مقتبطا بما رأى ، وأخذ يصف الأرض وحسن موقعها ، وقرب محلها من المحطة الحديدية ، وهى فوق ذلك ارض موقوفة وناظرة الوقف سيدة يمكن أن تؤجرها بشروط هينة ، ولا سيما الشروط المالية ، ولعلها تكون من حظنا . ولكنى رأيت على وجهه والذى أثر السحوب أكثر من المعتاد ، وهذا ما ينفطر له قاي ، فان الاجهاد يضر بمثله وهو لا يفتنى .

٥ يولييه . اكثرت من القول لوالدى أن يدع كل شىء يسير سيره ، ولا يهتم لشىء أكثر من الواجب ، وذلك لاني رأيت كبر النوق والاهتمام بما عساه يحدث . وقد وعدنى أن يعمل تنويرتى ، ولكنى متأكد من أنه لن يعمل بها ، لأن حبه لوالدى قد غلب على كل أمر آخر .

واليوم أرسلت لى فيليم أسأله أن يرسل لى رأيه فى لأشترائى فى هذه الأجرة ، وأعتقد أنه سيجيب ما أطلب إليه ، مدفوعا بحب مساعدتى لا برغبة الربح . جزاه الله ، من صديقى كريمة .

١١ يولييه . جهول بنى لو نجحت هذه الصفقة لوجب

الانتقال الى كفر الشيخ ، ولكنه يرى ان ذلك الانتقال يجب ألا يكون لأحد سواه ، فيريد أن يذهب وحده ويعيش هناك كذلك ، حتى يقدر على ملاحظة الأرض ، وإدارة أمورها عن قرب ، وهذا انكار للنفس لا يزيد عليه إيثار . ولكن من القسوة ان اطيعه في ذلك ، لأنه كبير السن والوحدة مستحيلة على مثله . أنه يحتاج بانه اعتاد تلك الحياة ، لأنه قضى فيها زمنا طويلا من عمره فلا يجدها تشق عليه ، ولكن ذلك لن يكون ، ولا سيما لانه أصبح غيره بالأمس لما أراه فيه من الضعف .

١٥ بوليه . جاء اليوم رد فهم وهو يعتذر عن تأخره بأنه كان غائبا عن القاهرة مع أبيه بضعة أيام . وقد صدق ظنى فيه كالعادة .

وخاطبنا ناظرة الوقف ، وسيأتى وكيلها ألينا اليوم لتتفق على الشروط . ما أفكده أخى فهم ، فهو لا يجب أن يجعل كتبه كلها مادية ، لما يملكه من كرهى لذلك : ويميل أبدا إلى أن يهدينى فى كل كتاب بطريفة من طرائفه ، ليزيد من لذتى بقراءته . وكانت كلمته هذه المرة على احتفال .

تأتم بالذاهرة ساعة كتابته للخطاب ، وهو احتفال يوم ١٤ يوليو ، الذى يقبمه الفرنسيون فى مصر . فإنه أخذ يصف لى الاحتفال وما فيه من أنوار وزينات ومناظر ، وبعد أن انتهى من ذلك قال :

« وبعد ، فيا محمد ألا ترى الأمر مضحكا ؟ هذا عيد الحرية قد أقيم ، مصر ، فلماذا تشكو من فقدانها ؟ أنك صعب الرضا - ولكن اسمع . ماذا تظن أن ميرابو يقول لو أنه رأى ذلك الاحتفال ؟ أكان يعجب منه أم يسخر ؟ لا تجبني فأنا لا أريد جوابك ، ولا مواخذة فى ذلك الجفاء ، فأنا أنا أسأل غير منظر ردا . وماذا يكون حال من سقط من الفرنسيين فى مثل ذلك اليوم ، لو أنهم نهضوا من قبورهم . وراؤا تلك الذكرى تهام ليومهم ؛ لا تجب أيضا . أن كل الأمور تنتهى بزينة وأغنية ، أليس كذلك ؟ اضحك ، اضحك يا شيخ ، وقد كما يقولون « لنحي الحرية » ونخيل أنك من القوم - هنيئا لهم عقولهم ، والعاقبة عندك يا محمد . ألا تفيق من عبوسك ؟ ونحيأتى إليك . »

مأحب قولك أى تقضى يا فقيم ! ان كل كلمة منك

تثير في قلبي معاني تدق عن الفهم .

١٨ يولييه . أتى الوكيل الى أبي كما اتفقنا مع الناظرة ،

وقد كتبنا عقد الأجارة وانتهى كل شيء ، وموعد دفع التأمين يوم ٨ أغسطس ، وسأرسل لقيم بذلك . وليس أحد أكثر سرورا بذلك النجاح من أمي وأختي ، فأنهما تصوران صورا بديعة لما يعود علينا من الخير من وراء تلك الصفة . وقد دب قولها في نفسي فأعداني ، فأصبحت أنا أيضا خفيف النفس مسرورا .

١٩ يولييه . أجد في نفسي سرورا هذين اليومين ،

واري الآمال تفيض في قلبي ، فتصور لي سعادة المستقبل وراحته . وقد قضيت أكثر وقتي في داخل منزلي وسط أهلي ، والبشر يملو وجوههم جميعا ، وأخذت اخي كلما دخلت عليّ تحدثني حديثا جميلا عن الصيف الآتي ، وما سيجد فيه من لذات ومسرات ، فاقترحت عليّ الذهاب الى شاطئ البحر ، واخذت ذكرني بسعادة الأيام الغابرة التي قضيناها هناك إذ كنا صغارا ، والحق أن تلك الذكرى لاتزال في نفسي زاهية جميلة . ولكنني جمعت أضحك في



نفسى منها ، لأنها تبنى فى الخيال قصورا قبل أن يتم الحصول على شىء من مادتها ، ولم اشأ أن أعكر عليها صفاء خيالها ، ولا أن أنصّ عليها نعيم وهمها ، فتركها تصف ماتصف من خططها للصيف المقبل ، وكنت أواقفها على ما تقول ، حتى يعوضها الخيال شيئا من ألم حقائق الماضى والحاضر .

٢٠ يوليّه . جاءنى حواله تلهرافية من فهم ، وتسلمت ما أرسل الى وسرأتى من ذلك . وسنذهب بعد قليل لرؤية الأرض معا . ويسرنى أن انتهى عمل كنت أراه حملا ثقيلا ، لأن الانتظار مؤلم مثلنا ، وقد وضع أمله فى العمل المنتظر .  
٢٢ يوليّه . أخرج الآن وحدى الى شمال المدينة .

بعد طول هذا الاحتجاب الذى منعى عن ان أروى نفسى بتلك الطبيعة الحلوة القوية . أخرج الى الحقول الخضراء ، والماء الجارى ، والنسيم اللطيف ، وأمتع ناظرى بالتطلع الى السماء البعيدة ، والنجوم اللامعة التى يتمثل فيها معنى الابدية والدوام ، وأنا اكتب هذه السطور فى كوخ خفير السكة الحديدية ، وهو صديق من اصدقائى ، أذهب اليه فأقطع طريقا طويلا . ثم أسمر معه حينما فأجد فى سمره لذة أعظم

مما أجد في حديث المهذبين . أنا مالى تأخذنى هزة شديدة  
 كلما خلوت فى تنزهى هذا ؛ فإن الحياة تبدولى عند ذلك  
 مجردة من زخارفها وغشاواتها ، فأرى زوالها ، وحقارة  
 ما فيها من غنى وجاه وسلطان ، وأرى حقيقة معنى المساواة  
 بين الناس ، وأن من نسميهم الكبار ذوى الحول والطول ،  
 ما هم ألا رجالا قد طلى ظاهرهم بخشاء من نسج الانسان .  
 ولو خرج الخلق جميعا الى البداوة الأولى ، وأزيمحت عن  
 العالم تلك الحدود والقيود التى تغل الناس ، لكان للعالم شأن  
 آخر . أنا اكاد ألمس يدى معنى الحياة ولكنى لا أستطيع  
 أن أعبر عن ذلك المعنى ، وغاية ما اقدر على الافصاح عنه  
 أنه لاقيمة لما اعتاد الناس أن يقدسوه فيها من مال وجاه ،  
 وأن العبرة فى التفاضل بين الناس بما عند كل منهم من صفات  
 الرجولة والشرف ، ولكن ذلك مقياس لا يرضى به كثير  
 غيرى ، لأنهم اعتادوا أن يذهبوا وراء المظاهر الراقية  
 والزخرف الكاذب ، فهم يعبدون الحقيق إذا اكتسى بياض  
 ثيوبهم - حقاً إن الانسان ما زال هو الانسان البدوى  
 الجاهل ، ولو تغيرت مظاهر جهله . أليس هو نفسه الانسان

الذى كان يعبد الحيوان كالعجل والكبش مادام قد اكتسب  
بكسوة مذهبة تأخذ بالابصار؛

٢٥ يولي . أجدنى هذين اليومين كثير الراحة  
والاطمئنان ، وأخرج كل يوم إلى التربة في شمال المدينة ،  
فأسير وحدى نحو ساعتين ، حتى أصل إلى كوخ صاحبي  
الخفير ، ثم أعود وكأني لم أسر إلا دقائق ، وتشغلني طول  
هذه المدة ذكريات الماضي ، وما نحن فيه الآن ، وما عساه  
أن يكون في المستقبل ، والحق أنه لو فكر الإنسان قليلا  
لرضى بكل ما كان ، فإن عتبي كل شيء واحدة ، وآخر تلك  
الحياة يلتقي الناس جميعاً .

أست سعيداً؟ — ولم لا اكون كذلك ؟ وإن من  
يرضى بما هو فيه سعيد . وما السعادة ؟ إن الانسان يفكر  
فيها كثيراً بغير جدوى ، وعندى أن السعادة شيء سلبى  
لا إيجابى ، أعنى أنها ليست حالة بعينها — فليست في القوة  
وليست في الفنى ، ولا في الجمال ولا في الشهرة ، وليست  
في مظهر من مظاهر الحياة ، وما هي إلا السلامة من  
آفات الحياة وآلامها . فاذا خلا المرء من مقالقات راحته

الداخلية ، واحتفظ بخلوه واطمئنائه كان سعيداً ، وذلك بأن يكون بعيداً عن الشر والنزوع اليه ، عالياً عن مرتبة الآخرة البشرية الحقيرة والأطماع الدنيئة . وأساس الخلو من كل هذه المقلقات أن يزهد في مادة الدنيا ، ويروض نفسه على القناعة والعفة . فليسعادة على هذا سلبية ، وهى الخلو من المكدرات المادية والخلقية ، والأبقاء على صفاء النفس واطمئنانها . وأنى قد تمرّجى أوقات كوقتي هذا ، الان ، اكون فيها على مثل تلك الحال من الصفاء . ولقد صدق ، ن قال ان السعادة أقرب إلى الفقراء منها إلى الأغنياء ، فإيهاً المساكين ذلك : فان الطبيعة خلقت لهم من حرماتهم نعمة ، ولم تفضن عليهم بملرفسات .

٤ اغسطس . ذهبت مع أبى لرؤية الأرض ، فوجدتها على مثل ما وصفها ، ولكن ينقصها شئ ، واحد ، فهى ليست مثل الأرض الأولى التى أحببتها ، وليست بها جهات شعشاء وحشية مختلفة المنظر بين معلوح وطبعى ، وايس فيها ريح الطرنة ولا لون نوار العاقول ، وايس فيها ذلك النسيم الجاف ، ولا الزرزور الأغن فوق عود الرمان ؛ ولكن

أظن أن الذكرى هي التي تعطي تلك المناظر السالفة جمالاً في خيالي أكبر من جمالها الحقيقي ، ولعل الأرض الجديدة بعد المعاصرة تثير في نفسي ما كانت تثيره الأولى من المشاعر — أن قلب الإنسان عجيب ، فهو لا يقتصر في الحب على بني آدم ، بل قد يحب الحيوان وقد يحب الجماد كأنما هو صديق له ، وهل وقوفه بالاطلال إلا نوع من الحب ؟ نعم ولكنه حب لا بالمكان من الذكرى فيصبح المكان رمزاً ويحل في القالب محل ما كان به .

أجد من نفسي هذه الأيام قلة ميل إلى الكتابة ، فاني كنت أجيء إلى كراسي هذه لاكتب ما يجول بنفسي ، كأنما أنا أشكو إليها ، ولكني الآن لا أجد من نفسي هذا البائس نفسه . وأدركت سبب ذلك اني استشعرت شيئاً من الراحة بعد طول انقاص والاضطراب ، مكنت في الماضي احبتي الى كراسي لأشكو لها ، وانا الآن أجيء إليها لأحادثها وأفكر بين سطورها ، وشتان بين شعور قلب ملتهب وشعور عقل . ففكر .

٧ أغسطس . لو كنت اعتقد في الهاتف لقات انه قد

هتف بنى اليوم . فكأننى سمعت صوتاً يقول لى وأنا بين  
النائم واليقظان « ان والدك كبير السن يضعفه الكد » .  
فكثت افكر بعد ان انتبهت مذعوراً ، ثم طردت عن  
نفسى الفكرة ، ولكنها عادت إلى برغمى ، ورأيت صدق  
الهاتف مذ تثلث صورة ابى وهو عائد من كفر الشيخ .  
أرى بقلى قلقاً كأنما هو يتوقع شيئاً ، ولكنى اهون  
عن نفسى واقول ان هذا شعور الانسان دائماً اذا اقبل على  
انتقال جديد كذاى انا مقبل عليه — هكذا اقول لنفسى ،  
ولا يذهب عنى ما اشعر به من القلق . ولا شئ البقى بى  
من ان اترك التفكير فى هذا ، واجعل الامر لله يقضيه كما  
يشاء ولا معقب لحكمه .

٨ اغسطس . ان والدى ينادىنى لنذهب لمقابلة الوكيل  
واعطائه التأمين فى وقته ، فاجعلها اللهم صفقة رابحة مباركة .  
ان ابى ظاهر الضعف ، ولو انه يخفى عنى النعب اشفاقاً .  
وان قلى ليمزق إذ اراه مضطراً للعمل فى هذه السن ،  
واذ ارانى مضطراً لمساعدته ، غير قادر على الاضطلاع  
بالحمل وحدى ، وياليتنى : وهل تفيد ياليت ؟

١٠ أغسطس. انتهى أعداد كل شيء ، وسنأسافر اليوم إلى كفر الشيخ ، ولست أجد من نفسي ارتياحا إلى ذلك الانتقال ، ولا تزال نفسي منقبضة كأنها تتوقع شرا ، ولكن هذه عادة النفس عند الانتقال دائما ، وأظن أنني إذا استقررت مرة أخرى عاد إلى الهدوء والبشر الذي شعرت به عند بدء هذه الأجره . ولعل ما أشعر به من الوحشة راجع إلى تفكيري بالأمر في كثرة التنقل وأثرها في الإنسان ، إذ اني أخذت أقول لنفسي إن الذي لا يقيم في جهة واحدة لا يعرفه أحد . ويعيش غريبا في كل مكان ، ولا يجد الحب وهو آمن ما يجده المرء في حياته ، لأن الحب نتيجة الألفة والمعرفة الطويلة ولا تطول العاشرة مع الانتقال . فلا غرابة في انقباض نفسي ، لأن هذا التفكير وحده كاف لتعكير كل صفاء . ويجب علي أن أقاوم ذلك الليل ، وقد جربت أن الإنسان يفدر على أحلال السرور في نفسه محل الوحشة والانقباض . إذا هو تكاف المرح والخفة ، فلا يلبث أن ينقلب تكلفه شعورا حقيقيا بالأشراح ، فلا صنع هكذا .

١٥ أغسطس. تركت أهلي اليوم في كفر الشيخ ، وترك

أبى يتكلم مع المستأجرين في قيمة الأجرة وعدد الأقدنه  
 التي يطلبها كل منهم، وأراه كثير الحركة، حتى لقد ينجح  
 لي أحيانا أن في حركته شيئا من الاضطراب على غير  
 عادته، فهو في العادة ساكن هادئ، الحركة. وأراه يزداد  
 في عيني شجوا كل يوم، ولكني آمل أن يزول ذلك كله  
 بعد أن يستقر وبطمئن، فإنه كله ناشئ، من النعب والقلق.  
 أجد نفسي كأنني فاقد شيئا، فبالى مشيت، ويخيل لي أحيانا  
 أنني نسيات شيئا لا أذكر ماهو، فأتلس جيبي. ولكني  
 أعود الى نفسي، فأعلم أنه الخيال الذي يجمعاني أظن ذلك  
 وليست الحقيقة. ولا أدري لهذا التشتت من علة، ولعل  
 السبب هو أنني لا أجد أبى وأمى وأختى بجانبى.

١٩ أغسطس. كنت مبائفا في الاعتداد بنفسى، أذ  
 ظننت أنني أقدر على الأمانة وحدى، فأنى أشعر بضيق  
 شديد من تلك الوحدة، ويزداد عندى الشعور بالانشت  
 الذي بدأ بي منذ ركت أهلى بكفر الشيخ، ولكني أحمل  
 كل هذا راغبا، لأننى أستطيع تحمل المشقة أكثر من أبى.  
 مسكين ياوالدى. هل تحملت مثل ماأنا فيه الآن كل تلك



السنين وأنا لا أدرى ؛ لقد قلّست يائى كثيرا بنير على .  
 وأكبر ما أكبره فيك أنك لم تظهر يوما أنك تقاسى شيئا .  
 سأرجو ( ع ) بك أن يأذن لى فى أسبوعين افضيها  
 مع أهلى بكفر الشيخ ، وأظنه لن يمانع فى ذلك ، لأنه يرى  
 مقدار ما أبذل فى عمله من الجهد ، فأنى أقوم بعمل يقوم  
 بمثله ثلاثة مشتركون فى دائرة ( الباشا ) جاره ، وهو فوق  
 ذلك رجل كريم النفس . وصديق لوالد أخى فهيم ، وأراه  
 لا يرد لى طالبا كأننا هو موسى . بذلك .

٢١ أغسطس . أجيء الآن من المرور فى الارض ، وقد  
 صدق ظنى فى أن العاشرة ستجيب الى الأرض الجديدة  
 تدريجا ، فقد بدأت اعرف اطرافها ، واجد فيها جهات  
 وحشية ، يئ لها نفسى ، لأنها مثل التى تركناها فى الأرض  
 الفرية الجميلة . وقد وجدت هنا لحسن الخط بعض شوك  
 العاقول بزهره اجميل ، وسمعت الرزور يصيح نفس صيحته  
 العميمة . واجمل بقعة فى تلك الارض ساقية تحيط بها اشجار  
 لبخ وجميز ، فنظالى عليها ظلا جميلا ، تنخاله الريح وقت  
 الاصيل . فيكون المجالس تحتها جامعاً من آيات الحسن

كثيراً، وقد اخترت هذا المكان لأذهب اليه كل يوم  
بعد تجوالى فقيه مراح للنفس .

١٢ أغسطس . قد انتهى تقسيم الارض بين الزارعين،  
وعرف كل رجل الجهة التى سيزرعها، وسيسرع أبى فى  
كتابة العقود عن قريب، ونأمل أن يكون لنا من وراء  
هذا العمل ربح كثير هذا العام، وسيكون الربح فى  
الأعوام الآتية أعظم.

ما أحمق هذا الرجل المستأجر القديم للأرض؛ إذ يزعم  
أنه سيخرجنا منها، ويلوح لى أن حزنه على لقمة ضاعت  
منه هو الذى يدفعه الى قواء . أن الفلاحين مسرورون من  
شروطنا، فهم خير لهم من شروطه، لأنه كان لا يترك  
لهم فرصة فى ربح إلا القليل الذى لا يفيد . ويلوح لى أيضاً  
أن وكيل الناظرة رجل سىء النية، فهو يلوح لى من طرف  
خفى أنه قد اخطأ مع المستأجر القديم، فلم يندره بتسليم  
الارض حسب الشرط، وكأنه يطلب منى أن افكر مع  
والدى فى حل المشكلة على تمويض نأخذ نظير فسخ  
الأجرة برضانا. والسكن ذلك لا يكون. فإذا شاء المستأجر

القديم عاد عليه فقاضاه . أرى والدى قد زاد تعبهُ ، وقد اشترت عليه بالراحة ، ولا سيما وأنا موجود محله ، وإلكنه يحاول أن يسمر على العمل . ما أشجع نفسك يا أبى واكرمك ! أتى لم أدرك إينارك حتى تفنحت عينى ، وقد رت أن افهم ، فإنه إينار لا يدركه الكثير لأن صاحبه لا يتحدث به .

٢٥ أغسطس . لا يزال الوكيل يردد قوله الاول ، ولعله يريد منى رشوة - ما أصعب معاملة الناس ! فقد كنت أظن أن ذلك لا يحتاج الى شىء سوى الاستقامة والصرامة والصدق ، ثم وجدت أن الأمر غير ذلك ، وأن معاملة الناس فن من الفنون ، وصناعة من الصناعات المعقدة التى تحتاج الى الخبرة والتجربة ، أن أبى دائماً يوصينى بأن أئين جابى . وإلكن طبعى غلاب ، وسأحاول أن اعمل بما يريد .

٢٩ أغسطس . بدأت خاف لآنى مضطر الى السفر بعد قليل ، واحد والدى قد زاد ضعفاً رغم راحه أيام ، وقد بدأ الوكيل يتمر ويعاكس . واخذ المسأجر القديم يهدد ، وأحشى أن أنكص أمامهما فطمعا ، ولا أجد وسيلة أمامى

استطيع بها أن انفق معها ، لأنهما يريدان رجوعا في  
الاتفاق وهذا لن يكون .

رب ارشدني فأني مضطرب صغير - لقد ادركت  
أني صغير الآن ، واني لا أقدر أن احل محل أبي . شفاك  
الله يا أبي عاجلا .

٢٠ أغسطس . انا أخدع نفسي بالتعلل ، والحقيقة أن  
اني مريض ، ولبس الذي به تعباً يزول بالراحة ، فأني  
اراه يضمحل يوما بعد يوم . وقد جاء اليه طيب واعطاء  
دواء . أسأل الله ان يجعل فيه الشفاء والعافية .

أنا مضطرب للسفر بعد غد ، ولا بد أن أترك أبي وحده مع  
أهلي هنا بكفر الشيخ ، وارانى أحتاج من الخوف ، ويكاد  
قاي ينخام كلما تصورت تلك الحال فأنا وحدي في دسونس  
لا يستقرى بال ، واني وحده هنا مريضاً وليس حوله إلا  
امى وأختى ، وهما محتاجان إلى من يقوم بحاجتهما ، واست  
أدرى ماذا اصنع ، ولا علم لي بما سيكون ، ويكاد ثقل  
حملهم ينوء بي .

كلما فكرت لم اجد غير احدى وسيلتين : فأما ترك

الوظيفة التي انا بها والتفرغ للعمل هنا بدل ابني ، واما ترك  
الاجارة والرجوع بأهلي الى دسونس كي اكون حاضراً  
إذا دعا الأمر الى معين. ولأأظن أن ابني يقدر على ما تتطلبه  
الاجارة من مراقبة ومحاسبة مع مرضه، ولا سيما أن هذين  
اليومين المقبلين أول سنة الزراعة. ومما يزيد في شدة الأمر  
معاكسة الوكيل وعداوة المستأجر القديم ، ولا ادري كيف  
استميل الأول أو أنرضي الثاني.

لقد حرت في أمرى فاللهم هدايتك ، فقد عز الناصر  
وقلت الحيلة .

١ - ستمر . هأنا في مدينة دسونس ، وخلفت ابني  
واهلي في كفر الشيخ ، ولا أقدر ان استقر ساعة - فاذا  
جلست مللت ، وإذا سرت ضجرت ، وإذا التمس السلوة  
عجزت . وإذا فكرت حمت ، وكل شيء حولى يؤلمني ،  
حتى اكاد اختنق بالهواء الذي أستنشق .

مالى كلما عزمت على أمر ، ولا حلى بريق أمل ،  
لقاب الأمل الى خيبة وألم ، اللهم إن كان هذا قضاءك  
في فكما تشاء .

لا أجد من الفكر مناصا، وكلمافكرت تمتل لي خطأي.  
واضحاً، لاني أنا الذي تسرعت بنقل أهلي مع أبي، وأنا  
الذي أشعلت النار في قلب أبي، وقد كان في كسبي القليل  
مقنع لقناع. أنني لم أقدر أن يمرض أبي في مثل هذا الوقت.  
ولامثل تلك الظروف، وكان الواجب علي أن أقدر ذلك  
وأعمل له عدته، ولكن متى كان غفل الانسان قادرا علي.  
الكمال لا يفوته خطأ؟

إن مرض أبي لو تقدم شهرا كان إنذارا كافيا، واكسنا  
نقنع عند ذلك ونقاع عن ذلك السعي، ولو تأخر شهرا آخر  
لكان في الأماكن أن يحضر إلى هنا بعد أن يكون قد  
انتهى كل شيء، واستتب الأمر واستقرت الحال فلم يحدث  
المرض في هذا الوقت بعينه، لا تقدم ولا تأخر؛ أن هذا  
أمر الله الذي قدر علي كل مره رزقه، وما شأن المنكود في  
السعي إلى السعة؟ إن الشقي إذا حاول النجاة من شقائه  
وقع في شقاء أبليغ مما هو فيه، وهكذا قسمت الحظوظ بين  
الناس ولا اعتبار ولا ملامة.

٣ - بنمبر. جاءني خطاب من اختي تطمئني فيه علي.

صحّة أبى ، ولكنى المح بين سطورہ ما لم تستطع أختى أن تخفيه - فأن نبرات لفظها تدل على الخوف ، وأكاد أسمعها من الطرس ، وأكاد أحس بحققان قلبها وهى تكتب . وقد عاودتنى اليوم مخاوى أكثر قوة ، وعاد الى هانئى وهو الآن أعلى صوتا وأخوف إنذارا ، إذ يقول لى هذه المرة « أن أبى فى خطر » . اللهم أهذا قضاؤك فى : أكاد أختنق أو أم الى هذه النافذة فأسألكها الى الهلاك ، فالنسيان النسيان إذا كان ممكنا .

سأنتهز فرصة الغد يوم الجمعة ، فأذهب لأرى أبى فان قلبى يتعزق خوفا عليه .

٢٠ سبتمبر . جئت إلى والدى لأراه فوجدته كما قال الهاتف ، ولا حول ولا قوة إلا بالله - وإن قلبى ليتحرق كلما رأيته راقدا فى مضجعه ، ويخيل لى ان اقعد الى جانبه فلا أبرح مكانى ، بل اضل اقبل يده حتى تبرد تلك الحرقفة . انه ينظر الى نظرة تذيب الصخر . فكيف نفعل بقلب ابن محب : اننى عندما لثمت يده اليوم شعرت كأن بردا نزل على صدرى تخفف من لوعته ، وكأن الخطر الى كنى كنت قلقا من

اجله قد زال ، فأنى لا اشعر به الآن منذ رايته ، ولوانه فى حالة من الضعف عظيمة . ولا ادرى لذلك من علة سوى ان قربى منه قد ابعد عنى تصور حاله فى الخيال ، والخيال هو مصدر رعبى والى فى كل طور من اطوار حياتى - فقد وجدت نفسى تستطيع ان تقابل الحقيقة بغير ضعف مہا كانت مؤلمة ، ولكنہا اذا تصورت تلك الحقيقة فى الخيال ، لم تستطع الثبات بل اضطربت وجزعت واعمل هذا سر من اسرار النفس البشرية لم اعرفه من قبل .

مسكين يا ابى ما كان انحل جسمك واخفت صونك ؛  
 أيام قايلة تفعل كل هذا ؟ و. اذا فعل الطيب واين تردواثه ؟  
 ايها الطيب ، أرجع لى ابى الذى كان يسير الى جانبي ، أرجع  
 ابى الذى استشفى بطبك ، اذهب حيلتك : وهل عجزت ؛  
 وعمل تلك إرادة الله ، لقد تشدد عندما رأتى ، ولكنه لم  
 يلبث أن عاد اليه الضعف أبلغ مما كان . . . ويلاه : ماذا  
 أصنع ، وقد حتم على أن أسافر إلى عمل اليوم وأتركه على  
 حاله هذه ، ولا أستطيع غير ذلك ، لأننى لا أقدر أن انقطع  
 عن العمل الآن ، وقد سبق انقطاعى عنه مدة طويلة منذ



أيام . ولا غنى لنا عن ذلك العمل ، إذ فيه رزقنا ، ولا أقدر على تضيقه مع ما نحن فيه ، وإذن فلا بد من تحمل ما جعل الله لي في حياتي من الآلام التي تتكشف لي واحدًا فواحدًا .

ما كان أخف جسم أبى عندما حملته لأصعده به على السرير ولا نزل به عنه ، وما كان أضعف صوته عندما كان يقول لي « حفظك الله يا بني العزيز » وما كان أثقل طرفه إذ كان ينظر نحوي وكأني به يريد أن يشبع عينه من النظر إلي . قبلت يده والقلب خافق ، وجالت في عيني دمة أخفيتها خوف أن يتألم لألمي ، ووددت لو كنت أقضي العمر على مثل تلك القبل الحارة ، أو لو بقيت إلى جانبه لأحمله كلما أراد حركة . فانه لا يقوى عليها وحده ، ولكن أواه ! إنها الحاجة ترغمني على الذهاب إلى دسونس . اللهم رفقاً بي . وأبني ! وأبني !

مساء اليوم . سألت أبي بشأن الأجرة ، وباليتمني لم أفعل لأنه قال لي عند ذلك : « أنت ترى بعينك يا بني أنني لا أقدر على العمل الآن ، وهكذا شاء الله . إنك يا بني مسكين ، وأنا متأنم من أجلك ، ولكن يجب أن تكون رجلاً وثيق بالله رغم كل ما يلوح لك من سوء حالك وقلة حظك » .

فان له في كل كارثة نعمة ، وفي كل مصيبة لطفا خفيا ، نق به فأنه عمادك ومساعدك . وأنى أظنك لا تقدر على العمل مع هؤلاء القوم ، وأنا اعرف الناس بهم ، فانت ترك لم هذه الصفقة ، فهذا ما أراد الله . وإذا كان في الاجل مهلة . ( وسكت عند ذلك دقيقه كأنما كان يبكي بكاء داخليا ) اقول إذا كان في الأجل مهلة « كان غيرها خيرا منها »

لقد بكيت ولم أستطع أن أكتفم إلى غده هذه الكلمات . وان نفسى حائرة لا أدري ماذا أفعل ، وأجد ذلك الشعور بالتشتت قد غلب على كل مشاعري . لقد ودعت أبى ، وقال لى « لعل أراك ثانيا يا بنى » . وكيف يكون مصابى لو لم أرك ثانيا يا أبى ؟ لا قدر ذلك .

٦ سبتمبر . لا أزال اتذكر كيف كانت قبلى الاخيرة ليد أبى عندما ودعته قبل سفرى - لقد كانت طويلة خفقتنى فيها عبء لم اتمالك نفسى منها ، فقطعت القبلة قبل الاكتفاء ولا زلت منذ الأمس مع أبى فى الخيال ، صاحيا كنت او نائما ، واليوم قد اتانى من اختى خطاب تجهد فيه ان تخفى عنى الحال ، ولكنها لم تستطع ، لأنى

قرأت ابن سطره مالم يخف على الروح رغم خفائه عن  
العين . ما اضيق الفضاء بنفسى وما شد شوقى اليك يا أبى .  
لكأن ناراً تنأجج بين ضلوعى ويتور لهيها ما بين عيني .

٨ سبتمبر . هل يكون مأخبر به الاحلام؟ فقد حلمت  
بالأمس كأننى ارى أبى وهو يمدنى صيحاً قويا قفى الوجه  
مملوء الجسم . يكلمنى ويضحك كما كان يفعل ايام كنت  
صبيا فى المرة الاولى فى دسونس . وكأنه كان يحمل فى يده  
الساعة اتى أعطائها يوم نجحت فى امتحان الدراسة  
الابتدائية ، ويقول لى « هذه جائزتك يا محمد لنجاحك ،  
وقد احترت لك الساعة لكى تنظم وقتك ، فقد اصبح الآن  
ثميناً ، لأنك صرت من تلاميذ المدارس الثانوية » . إن  
هذه الألفاف احييت فى ذاكرتى ايام الحياة الأولى - ايام  
الصبا والسرور والسعة - ولكن وأأسفاه : فأما تحمل  
أيضاً ذكرى النكبة التى حلت بأبى عقب ذلك بقليل - لست  
ادرى هل تصح الاحلام فأرى أبى ثانياً وقد نفاى وشفى  
من مرضه : وما حلى ذلك الأمل لو تحقق :

جمعانى هذا الحلم اراجع نفسى فى مخاوفها ، وأقول لعلها

مخاوف كاذبة قد دفعنى الخيال إليها لفرط حذرى وشدة حجبى،  
والسكنى أرى نفسى غير مستريحة برغم كل تعلل وكل مراجعة .  
٩ سبتمبر . ماذا آكل اليوم ؟ أننى لأجد فى المدينة  
أكلًا ملاءمًا ، ولا أقدر على عمل شئ . لنفسى ، وأنى ارى  
أنى حقير . ضئيف إذا وازنت بين نفسى وبين أحد الأعراب  
أو أحد الرواد ، الذين يجوبون الففار لاتخدم المدينة بشئ .  
من عددها ولا نعيمها . ويعيشون بأنفسهم سنين طويلة مما  
يصيدون ويصنعون بأيديهم . وأنى أظن الرجولة لاتتم  
الانسان إلا إذا عرف كيف يعيش وحده من الطبيعة ومع  
الطبيعة ، بغير مساعدة الناس له ، فمن قار على الحياة مستقلا ،  
كان ولا شك نام القوى وافر الرجولة والسكنى وبالأأسف  
لم تنشأ إلا على الاتكال ، ولم تتعلم من عدة الحياة إلا بعض  
الفاظ نحفظها ، أو بعض حقائق نفهمها ، وأما الحياة نفسها -  
حياة الرجل . فلانستعد لها بشئ . وأعرب ما ارى أن الناس  
لا يريدون أن يفهموا ذلك ، وإن أقل تفكير يظهر لهم صدق  
هذه الحقيقة ، والسكنى كما أقول لا يريدون أن يفكروا  
ولا أن يفهموا .

فلا بد ان ابدأ بتعليم نفسى، ورياضتها على هذه الحياة  
ولأبدأ منذ اليوم بقدر ما أستطيع، وسيكون لى اكبر باءث  
على العناية، لأننى إذا أهملت عاد الأهمال على، ولأبدأ  
اليوم بطبخ شىء من البطاطس واللحم، ولابد من اكله  
ولو كان محروفاً كريبه الطعم، حتى احذق الطبخ.

ولكن ماهذا الذى يقرع الباب؟ انه خادم (ع)  
بك - ماله داخلا كذلك واجما ساكنا؟ وما ابنى به الآن  
فقد كنب الساعة عند (ع) بك، ولأأظن شيئاً جديداً  
خطيراً قد طرأ عليه حتى يدعونى اليه بعد هذه الفترة.  
القصيرة. أن الرجل - ويله - يتقدم نحوى ساكنا، وهو  
يمد يده الى ما هذا؟ - إنه ...

١٤ سبتمبر. لقد سقط العلم من يدي فى آخر ما كتبت  
فى اليوم السالف، عندما رأيت ذلك التلغراف المشؤوم فى  
يد الخادم.

وقد انتهى الآن كل شىء، ولا حول ولا قوة إلا بالله  
ولم احضر وفاة أبى، ولم أره قبل موته، فواحر قلباه: إن  
الحزن فى نفسى أعمق من الدمع، وهو يكاد ينفجر بقلبي.

لقد كانت قبلاني التي قبلتها يده آخر ما قدر لي منه في هذه الحياة ، فهل كنت أعلم ذلك ؟ وإن قلبي كان يتحرق وقتذاك ، وأنا أكاد الصق صنعة وجهي بظهر يده ، ولا أدعها ، فهل كنت أشعر إذ ذاك بما كان مخبوءاً في الغيب . وبأن تلك المرة آخر مرة أراه فيها على ظهر النرى : وهل كان هذا سر اضطرابي وقلقي عند وداعه تلك المرة ؟

قد انتهت يا أبني معاشرة طويلة بيننا ، وتخلفت عني وتركتني وحدي في هذه الحياة ، أغاسي وحشتها منك ، وخلوها من قلب عاطف ومؤثر محب . وإني لا أذكر لحظة من حياتي خالية منك - فأنت تملأ حياة طفوتي وصباي وأنت محور حياة شبابي ، وأنت صديق جهادي وعلمي ، دخلنا كلانا في ميدان تركتك فيه صريعاً . وأقطعه الآن وحدي وسط بيداء فاحلة هذا أنت يا أبني معي كأننا راجعان من معاينة الأرض . وهذا أنت كأني أناديك وتناديني ، وهذا أنت كأني ناسم لي وتمزح بداعك التي اعتدتها منك ، وهذا أنت كأنا نحن جلوس حول الموقد أيام كنت طفلاً ، نشوي الكستنة ونضحك ونمزح هذا أنت معي

في كل عصر، أنتذهب غنى كذلك وأبقى أنا وحدي في الحياة؟ أهكذا يسقط الناس بعضهم عن بعض كورق الشجر في الخريف، وهكذا يتخلف الرجل عن يحب، رغمًا، خلفوني وقد علمت يقينا ،المن ذاق ميتة من إياب قلى الويل بعمدم وعليهم صرت فرداً وملئ أصحابي عليك من الله رحمة بقدر ما هطل من قطر على الأرض منذ خلقت. وأفسح لك من رضائه جنات عرضها السموات والأرض، وإلى الله يا أبى نفسك الظاهرة السخية، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

١٥ - مستمر . لا قابلية من طول بقاء أهلى فى كفر الشيخ بعد إذ كان ما كان ، ولا بد من تقاهم معى إلى دسوس . ولا يمكن لا أستطيع ذلك إلا آخر الشهر . أحاول أن أعزى نفسى ، وأن أنسى فداحة مصابى ، ولكن لا أجدر سبب إلا الى ذلك . فكلما سرت مع العقل شوطاً ، غلبتني العاطفة ، فوجدت نفسى فى طوفان من حزن عميق وليس من عزاء عندى أكبر من أن أفكر فى لقاء أبى بعد هذه الحيات . فى عالم السعادة الأبدية والخلود .

١٦ - سبتمبر . لست ادري ما حزني هذا ؟ وما فائدة  
حزن لا يعيد ماضى ؟ ولمن البقاء فى هذا العالم ؟ ليت العقل  
يغلب القلب فيذهب بكثير من هموم هذه الدنيا وأشجانها ،  
لأن الانسان إذا استعاع أن يقنع نفسه بمقيدة زوال  
هذا العالم ، وأن كل شىء فيه الى فناء ، احتقر كل ما يتماق  
به ، ولم يجد فيه شيئا يحزن عليه . ولكن هيهات أن يتذكر  
الإنسان هذا ساعة ثورته ، فإنه إذا صدم انساها شعور  
ألمه كل تفكير وكل حقيقة أخرى غير ألمه .

١٧ - سبتمبر . ما زالت كل يوم ازداد اعتقادا فى حقارة  
تلك الحياة ، وكلما فكرت فى الإنسان وما يعمل فى حياته ،  
زدت استخفافا به وتقصا منه . إنه يأمل فى سعادة يسعى  
اليها ، ويحرص على مادة نأله ، أو يدأب فى تحصيلها ،  
ويفرح انصريناله ، ويحزن اخسارة تخل به . وما آخر كل  
هذا ؟ ليست كل حياته بعض دورات من دورات الفلك ،  
ثم يصبح فى بطن الثرى ترانا كما كان قبل الحياة ؛ إن هذه  
حقيقة بسيطة ، يعرفها كل انسان ، ولكن لا يتحققها أحد ،  
ولا يشمر بها شعورا قويا إلا الألق . وعندى أن أعلى



درجة يباغها الإنسان، أن يصبح مع أبي العلاء في ملته إذ يقول:  
غير مجد في متى واعتقادي نوح بالك ولا ترنم شاد  
ولكن هل يستطيع الإنسان أن يكون كذلك؟  
وقد رأيت بالأمس طفلاً أعمى، يدب على عصا،  
وهو لم يتجاوز السلم الأولى للحياة. ورأيت آخر، وقد  
ذهب باصابعه داء موروث عن أهله فآلت نفسه ما معنى  
الحياة ليل دؤلاً، أهى حياة سائر الناس، أم قد حرموا  
ما حبا الله به آخرين؛ فوجدت نسي بين أحد قولين إما  
أن هؤلاء مد ظلوهما إذ حرموا في قسمة الحظوظ مما تنع  
به غيره، وذلك ظلم منكراً، وإما أن النظر والصحة والمال  
ليست شئ. وأن الحياة ومتعلقاتها ومظاهرها كلها أعراض  
هينة، لا عبرة بها، سواء نعيمها ونفسها، وإنني أميل إلى  
القول الآخر. تعالى الله عن الظلم والجور، فالحياة، كما بدا  
لى من قبل. واجب، علينا أدائه، والحياة التبعة تمتد  
كما تمتد لرعدة، ولا عبرة بما بين الميلاد والموت من  
الحالات، شاه الأمنية المسافر نحو مستقره

١٨ - مستمر. تقول إن الدنيا لنا، ونحن آهلها، ونحن

مالسكو هذه الأرض . ويل لفرور الانسان وعماه ؛ -  
وقفت بالأمس عند الغروب ، وكانت الشمس تصبغ  
السحاب باللون الأحمر البديع ، الذى يأخذ بالفسوس ، وإلى  
جانب ذلك لون السماء الأزرق الصافى ، الذى تهدأ العين  
عند التطلمع اليه . فأخذت افكر فى جمال هذا المنظر ، حتى  
هممت بالركوع خشوعاً وإجلالاً لخالق المبدع لملك الكائنات  
وعند ذلك ذكرت الماخى من الأجيال ، وأخذت أستعيد  
فى خيالى كيف كان أهابها يقفون كما أنا واقف ، وبرون  
ما أرى ، ويقولون هذه أرضنا ، وتلك سمؤنا ، وهاتيك  
شمسنا ، كما أقول أنا اليوم وما زلت أتأمل فى الخيال ، حتى تمثل  
لى المصرى القديم . وهو واقف فى حقله يزرع ويقام ويقف ،  
حتى إذا ما غربت الشمس ، كما هى غاربة أمى . ركع إحلالاً  
وخشوعاً كما هممت أن أفعل ، وتصورته وهو يقول ، « هذه  
أرضى وتلك سماءى وهاهنا الشمس الهى داعب إلى عالم الآخرة  
حين سأذهب بعد موتى ، فأما قد استمدت بعيمه للتأنى ،  
وظللت كذلك ، أتصور حاله وعيائه وقوله . ثم انتهت إلى  
نفسى فوجدتني واقفاً فى مكان كان هو به من زمن . وإذا

به قد بلى وذهب ، وتبدلت الأزمان ؛ وسار في موطنى ، قدمه  
 أم عدد الحصى ، حتى وقعت أنا به ، ولا أزال أفكر كما كان .  
 يفكر وأحسب أن الأرض أرضى والسماء سمائي . حقا إن  
 الإنسان لا يفكر عميقا ولا يتعظا ، وهذا طبع فيه لا يقدر أن  
 يتخلص منه فهو باق عليه يحيا كما عاش من سبقه ، ويتبع نفسه  
 كما تسول له ، حتى يالحق السابقين الى الفناء . ولا بأس بذلك ،  
 فإن الانسان خلق ليحيا ويطبع نفسه ولا حيلة له فى الطبع .  
 وقد رجعت الى ديوانى المحبوب فقلبت صفحاته فوجدت  
 فيها قطعة كأنه يترجم بها عن نفسى هذه المرأة أيضا . وهامى :  
 تلك الصبا هبت وهذا الربع جأله الزهر بثوب ينيع  
 ونفحة تسفى الفؤاد الوجيع

والشرق يستقبل بدر الدحى

والغرب قد ضرج ماضرجا

قداف هذا لا يكون حسن بديع

وسجمة تملأ جوف القضاء

يا حسننها - كيف يذوب الفناء .

كأنها لحن ملاك السماء

وقفت بالليل مزار الشجون  
تجيش في الآمال شتى الفنون  
والحسن داء نائرأي داء

هل تنقضي أيام هذا الشباب  
وهل تعلأت المنى للذهاب  
يا ليت شعري ما الفدا للستراب

للنفس آمال طوال المدى  
وجرة للمجد لن تخمدا  
لكن في الماضي عظات عجاب

ذكرت رمسيس على جحفل  
كأنه ستر الدجى المسبل  
متندا كالهيدب المقبل

يسير في الناس عزيز الجنب  
في شرف المالك وعز الشباب  
ترمقه الأعين لا تمتلي

فقال إذ أعجبه الرونق  
 لمن تحلى الغرب والشرق  
 ومن له يخفق ما يخفق  
 أكان غبرى فى الورى سيد  
 وهل سيدوى عودى الأملد  
 أحسب هذا الملك لا يخفق  
 لكن تولى الملك واستحالا  
 وبدل الدهر بحال حالا  
 لم يبق إلا قصصا أمثالا  
 وإبنى اليوم كتلك العصور  
 أختال فى برد الصبا والغرور  
 وأبى فوق السها آمالا  
 لا تبعن النفس فيما ترى  
 أضرب فى الآمال مستهترا  
 وفى غد أمضى كهذا الورى

ويعيش وحده في عالم الخيال قائما بأفقه الداخلي؛ فان رغبات النفس اذا لم نستطع الحصول عليها انقلبت الى الام حادة، ولكن عيش الخيال لا توجد فيه تلك الخيبة التي كثيرا ما نلتقي في عالم المادة. فكل شيء ممكن في الخيال، ولا يستحيل فيه شيء، فاذا شئت كنت فيه ملكا مطاعا مثل رمسيس او الاسكندر أو نابليون، ولو شئت كنت فيه رب ثراء لا أعجز عن شيء، فاعلى الا ان اصور نفسي في مكان هذا أو ذاك، واتخذ من الخيال جنودا وانصاراً، وأبني فيه مجدا وعزاً، وسطوة وصولاً، فلا تبعد على نفسي رغبة ولا أعجز عن بلوغ غاية، بل أضرب فيه مطلقاً حراً.

يقولون ولكن الخيال شيء غير محسوس، ولا وجود له إلا في الوهم ولا يلبث الوهم أن يزول. نعم ولكن ألا ينعم فيه الانسان حيناً؟ وهل هناك فرق بين ما يتركه نعيم الخيال من الأثر في النفس وبين ما يتركه نعيم المادة؟ واذا كان الخيال يزول، فهل حياة المادة دئمة؟

لقد سبحت في خيالي مطمئن البال، وحولي من كل.

صنوف السعة والوفر ما تقر عيني به ، فأنا مع امي واختي  
 في منزل صغير حوله حديقته الفسيحة ، تحوى من الاشجار  
 والرياحين ما يلذ ويطيب ، والقمر يرسل عليها نوره الفضى  
 وانا جالس اقرأ على ضوء مصباح كهربائى قوى وعدا من  
 صديق بزيارة ، وقد جاء الصاحب بعد قليل ، وجلس معى  
 يتحدثني احاديث مختلفة ، حتى جاء وقت العشاء ، فجهز لنا من  
 الماكول أطيبه ، فاكلنا مع جماعة من الرائرين ، وجلسنا  
 بعد ذلك فى سمر حلو وفكاهة ، نتناول مختلف الاحاديث  
 ونأخذ منها من كل زهرة قطرة . وباليث كانت حياتى كلها  
 فى ذلك الخيال ، أو باليت الحقيقة تخفى على أو يضرب ينى  
 وبينها حجاب صفق فلا يخرق

ان تلك جولة لا تدم ، فصحوت منها لأجد نفسى فى  
 فاعى قبيل الغروب ، والظلام مقبل بوحشته ، والهواء راكد  
 خائق وانا وحدى ، وامى واختى وحدهما فى بلدنا ، والفقر  
 معى بأس الرفيق ، والأمل لا يكاد يدب الى نفسى من  
 ناحية ما فما اوسع الشقة بين نكد الحقيقة وسعادة الخيال  
٢٠ سبتمبر . جاءنى من اختى خطاب اطلب فيه بعض

اشياء ضرورية للسفر ، وسأجهد لى استطيع ان ارسل  
لها ما تطلب ، فهذا السفر لا بد منه واسكنى أجد يدى  
قصيرة لأن مرض والدى رحمه الله ، وما احتجنا اليه عند  
وفاته ، استفد ما كان لدينا من المال الذى ارسله عمى من  
عن الارض ، والوظيفة التى آخذها لا يبقى منها بعد الفوت  
شىء للادخار ، فلا مناص من سؤال فيهم هذه المردأيضاً .  
ويلاه ما أشد كل ذلك على نفسى : إذ أرائى دائماً فى مقام  
الطالب حتى لكانه قد حنم على أن بفى يدى السفلى . وفى  
ذلك منتهى السقاء لمن كان نفسه مثل نفسى فأين الفضل  
منى وأنا على ذلك العجز ، وأين الإباء والكرامة والشمم  
إذا كنت مضطراً إلى السؤال ولو كان ذلك لأعزأصدفنى : فإن  
الكرامة إذا جرحت ولو أمام واحد . كانت كرامة مروحة  
ناقصة . فما أقبح الفقر وأشد اساره ان لا أطيع التفكير فيه  
رغم كل تمل وكل فلسفة ، وأكاد أختنق كلما رأيت عجزى ظاهراً  
لعينى ، لأننى أنزع الى الكرم وإلى الحرية وإلى العزة  
والافضال ، ولا أستطيع شيئاً من ذلك بل أجدنى أهوى  
مع الحاجة برغى الى السؤال والأسر والالة .



٢٨ سبتمبر . أرسلت بالأمس ما طلبته اختي، وأنوقع الآن بحبي، أهلى الى بعد هذا الافتراق المشؤم، وأظن أن ذلك السحر يتطلب شيئاً من المال، وعلى زيادة على هذا ديون متنوعة، ولا أقدر على سدادها ولا سيما فى هذه الأيام أيام الغلاء، الذى يزداد يوماً بعد يوم. فأجرتنى مضطراً لأن أرسل لعمى أو لأحد القريين منه، لأطلب بعض ما لنا عنده من المال ولا بأس بذلك فانى سأطلب حقاً لى، وهو يعرف الحال السيئة التى أنا فيها، ولا أظن إلا أنه سيبادر الى الاجابة، لأن قابله الاخوى لا بد قد حزن لفقد أخيه، وأنبه على إيلايه وأذاه، وأمله يفكر فى محو الاساءة الى أخيه بالاحسان الى أبنائه، أقول الاحسان؟ وهل أصبح أداء الحق إحساناً؟

٢٩ سبتمبر . هاقد استقررت بعد طول الاضطراب، وأرأتى أبسم بعد العبوس الذى لازمنى حتى كأنه طبع فى وجهى. أبسم إذ أرى امى واختى الى جانبى مرة أخرى وهما مابقي لى فى الحياة مما أضن به مرحباً الى قلبى المكسوم.

نعيش مما تنقسم ما جعل الله لنا من رزق، ونتعاون على ما يرسل الدهر من مصاب .

اننى لا يخلو لى ليل من حلم ، ولا يخلو حلم من رؤية أبى ، فاذا صحوت لم تنزل ذكر ادها نائلة فى عملى ، وقت سرورى . وساعة ألى ، إذا اشتد الحر وإذا هب النسيم البابل . إذا أظلم الليل وإذا سطع البدر ، وإذا غربت الشمس أو لاح النجم أو تنفس الصباح . فقد كانت معاشره طويلا دقنا بهامعا صنوف المشاعر ، وبلونا فيها تصاريف الدهر جنباً إلى جنب . لقد ارسات اليوم الخطاب إلى عمى وامله يفيد .

٣٠ سبتمبر . بدأ الخريف منذ أيام ، وقد أخذ الجو يبرد فى هذه المدينة أسرع مما يبدأ ذلك فى الجنوب ، وأرى ثياب امى واختى لاندفع عنهما البرد ، ولكهما لا تطلبان غيرها خوفاً من إخراج صدرى

باليث دمع العين يجدى . فأبكى حتى أسيل قلبى وأخرج من تلك الحياة ، ولكنى لو فعلت لم يعد ذلك بفائدة ، بل لكان فى ذلك كل الضرر لو أصبح أهلى بغيرى . ولا مسند لهم إلا عمى الضعيف .

إن الإنسان قد يستطيع أن يتحمل ما يصيبه في نفسه  
ولكنه لا يقدر أن يهون على نفسه وقع ما ينزل بمن يحب.  
كيف بنى الآن لو مرضت أو عجزت عن العمل ؟  
أيوت أهلى جوعاً ؟ أم أتركهم لحماية المجتمع ورأفته ؟ حقاً  
إنه مجتمع كريم رؤوف . إن قسوته مائلة أمام عيني في كل  
وقت ، حتى لقد ظننت سوءاً بالطبع الإنسانى من أجل  
ذلك ، لأنى أرى الناس يلذون رؤية الشقاء في غيرهم ، ولا  
يفعلون الخير إلا مراةً وخداعاً ، ولهذا أجد أن خير حظ  
يناله أهلى إذا أنا هلكت أن يهاكوا معى .

١١ أكتوبر . ما أعجب تقارب الإنسان وتغيره بين حين  
 وآخر : فهو فى ساعة صنين بالحياة وفى أخرى زاهد فيها ،  
حتى ليخيل لى أن أفكاره تتقلب مع تقلب الجو ومع تغير  
الفصول والأحوال ، وأرى فى نفسى ذلك واضحاً . وكأنها  
مراة ينقلب فيها حال الطبيعة .

كانت ليلة الأمس غاية فى الجمال ، فسرى عنى فيها  
كثير من هموم الماضى ، وهذا ما أجده دائماً إذا تركت  
والقمر والسماء الصافية والنسيم البارد ، فكان ذلك الهدوء

وهذا الجمال يظهر ان للنفس حقيقة معنى الحياة، ويكشفان  
 عنها مظاهر الانسانية، تلك المظاهر التي خلقها الانسان  
 ليعبدها، فيتضح لها الوجود على حقيقته، وتظهر المياة  
 مجردة عن ضلالها وزخرفها، وهنالك يجد أماني ممن حرموا  
 مادة الدنيا وحطامها، أنهم من الأحياء، وأن في الطبيعة  
 لذات لهم لا يدونها غيرهم من أهل الجاه العريض. إن الانسان  
 لا يملك أن يمتد زوال هذه الحياة وبطلانها وحتارة ما فيها،  
 إذا هو تأمل ما في الكون الواسع من آيات الله القدير .  
 لقد خرجت بالأمس الى الفضاء ونفسي تتبلى على جمر ،  
 وجلت بين الحقول أقلب طرفي في جمالها، وأسرح نظري  
 في غدرانها وأغصانها، حتى هدأت ثائرتي وتبدل جوى نفسي  
 الى نور يهديها، فعدت بعد هذه الجولة وفي نفسي شبر مما  
 رأيت، وراحة من أثر ذلك المنظر الجميل الذي أشبعت  
 روحي من محاسنه، وروبتها من تأمل بدائعه ومن العجيب  
 أنني عدت إلى منزلي فوجدت في ديواني قطعة كأنها تترجم  
 عن نفسي — حتى لقد أصبحت أعتقد أن ذلك الشاعر المجهول  
 كان يحمل قلباً مثل قلبي وينظر بعين كأنها تبني . وهامى

القطعة وعنوانها ( سر الحسن ) وهى قريبة فى روحها ومعناها  
من القطعة الأولى التى ذكرتهما من قبل :

لا زلت تجرى يا نسيم الشمال	مطرَ الأنفاس
وتشئى يا غصن بين الظلال	بعودك المياس
والأرض فى زيتتها تزهى	بجُلة السحر
تتمتع العين بما تشئى	من باسم الزهر
والنيل ينساب بمنهاجه	يلاع الحباب
يرافق النور بأمواجه	كالؤلؤ المذاب
ودون واديه رمال الفلا	فسيحة الفضاء
لا تستفر العين فيها على	منوى سوى دواء
بدائع شتى وآياتها	جليلة السر
حسبى من الله ولذا ذاتها	وعبرة الفكر

\* \*

لصفحة الشرق إذا أسفرت	عن نفس الصبح
ونسمة الريح إذا ما جرت	ساحرة النفع
وزهرة فى الشوك مهجورة	باسمة النفر
وقطرات الطل متثورة	تسخر بالدر

أطيب ما يدرك من لذة شعاعها قدسى  
 رسيها يبق على جذّة يشور بالنفس  
 والحسن لم يتخلق لبطل ولا لعبث الهازل  
 فنوره الأبلج وحى العلا للمثل الكامل

١٢ أكتوبر . تزيد في نفسى فكرة زوال العالم وضوحا

كل يوم ، وكما خرجت إلى ذلك الفضاء الجليل ، ورأت  
 نجومه البعيدة وبدره السى ، خيل الى أنى وسط عوالم  
 حية خالدة تنظر إلى وتضحك إذ ترائى ذلك الإنسان  
 المذرور الجاهل الذى لا يفهم ولا يتعظ . فقدمضى من الناس  
 جيل بعد جيل ، جاءوا إلى العالم وعاشوا فيه حيناً ، ثم  
 ذهبوا إلى حيث لا يرجع الداهب ، بعد حياة مملوءة بالآمال  
 والعواطف المخنفة ، من حب وكره ، وطمع ورغبات .  
 وماذا جنوا من كل ذلك وماذا تخلف من آمالهم ورغباتهم ؟  
 يعلم كل الناس أن كل هذه الآمال زائلة بائسة ، ومع  
 مع ذلك يأملون ويرغبون ، ولا يتعظون بما ترى  
 أعينهم من أمثلة الماضى . وهأنا واحد منهم لا أزال  
 آمل وأرغب ، مع أيقانى بزوال هذه الحياة وبخلائها

من نعيم وزخرف . اننى كثيرا ما افكر فى هذا فلا يزالنى  
 الفكر حتى أقع فى حلم يقظة ، وتمر امامى اشباح الماضى ،  
 وأرى كأنى فى منفس او فى طيبة أو فى غيرها من العواصم  
 المصرية القديمة ، أشاهد آتار المجد والمعزة ، واتطاع الى  
 القصور الشامخة والحدائق الغناء ، وأنظر الى الجلال والجمال  
 فى غُدُوّ ورواح ، ثم ما ألبث أن أضحو فأنظر حولى فلا  
 أجد إلا البدر يسطع على الحقول التى حولى ، وأنا وحيد فى  
 وسطها . وقد حدث مثل هذا ليلة الأمس نجاشت بنفسى  
 الخواطر حتى ازدحم بها صدرى ، ثم عدت إلى منزلى فوجدت  
 قطعة اخرى فى ديوانى المحبوب تنل زوال العالم فى صورة  
 كانت أقرب شئ الى الصورة التى فى خاطرى ، وهى :

النجم يرعانى وأرعاه	قد يمكر الجلانس إلاة
أبشه من زفراتى وما	لغيره يأمن أواه
والبدر فى الليل رفيق الخطا	يضى أقصاه وأدناه
تلوح فيه الارض موشية	من أقصر البت واسماه
لمل ما ابصر من منظر	تُغفر المدهر خطاياها

وما حرا لاجفان حلوا لحي	ضعيف كز الطرف تيام
حديثه مثل ديب المنى	يبسم والدر ثناياه
حسبي من اللذة انقاسه	ومن رضى العيش لقياه
قد تمت النبطة في ليلة	قل لها في الدهر أشباه
ما العيش إلا ما يذ انقى	ونعمة الحسن قنصاراه



أكن برغى سذجت عبدة	وكل حال فيه ذكراه
كأننى أبصر دهرأ مضى	مما رأى البدر بمسراه
هاتيك منقيس بها ما بها	من شاهق القصر وأعلاه
بلوح عن بعدٍ بها وكب	أخراه لا تبدو لأولاه
حتى إذا أبصرت أعلامه	وخرت الناس للقياه
عرفت رب الملك في عرشه	حسبك منه خير سيماد



وذاك في طيبة قصر سما	يضى فيه العز واجاد
وربه يختال بين الربى	نوارها يزهو برياه
وحوله من كل حورية	ياخذ عنها الخير مغناه



أذا كان البدر في افقه كما أرى الساعة لألاه

\*\*\*

واليوم لا قصر ولا روضة إلا طلالاً من بقاياها

والبدر مازال على عهده كأنما لم يعف مغناه

٣ أكتوبر . إن تقضى قلقة . فإذا جلست إليها أنا قشها

عن علة قلقة . ألم أجد إلا إيهاما وغموضاً قبل ضناق صدري

لوحشة من حب ؟ لا ، فإن الحب يفيض منى وعلى ، وهذه

أخي وأختي ما أحب أحداً كما أحبتهما وأحبتي وهل

هذا الضيق من كدر العيس وصعوبته ؟ واسكن ألت

الذي يتعلل بصغر قدر هذه المادة ، وزوال النعيم ، وبطلان

زخرف تلك الحياة : أم ذلك القلق نتيجة لهذه السحب

المتراكمة في السماء ، نغطي نجومه وبدره ، ولهذا الهواء

الشديد الذي يهب كأنه يئن في هبوبه ؟ است أدري أي

هذه الحال قد أحدثت ذلك الأثر بنفسى ، واسكن على أي

حال لأرى في الحياة خطباً يحمل بي أن أفاق له ذلك القلق ،

فقد شهدت أن أكبر المصائب إذا نزلت بالإنسان أمكنه

أن يتحماها ، ويضيق حتى بكارثة دهمته ، وما أكبر خطب أتوقع ؟

فأني لا أملك شيئاً يمكن أن أفقده ، فليس من نازلة تنزل  
 في ألاموت ومرحباً به ، فلقد كنت فيما مضى أخشى على  
 أهلي إذا أنا مت أن ينالهم سوء ، ولكن أجدني هذه  
 الأيام أقل خوفاً مما كنت ، لأنني كنت مبالغاً في مصابهم  
 في إذا أنا قضيت ، وسيخلفني فيهم الله وهو لا يترك ضعيفاً  
 ولا يتخلى عن لاجئ مستصرخ .

٤ أكتوبر . رب أهكذا قضيت في خلقك ؛ إن في  
 الناس من هم أشد مني ثوباً ، وهذا مما يزيد ألمي ، لأنني  
 أتألم لنفسى ولغيري .

دعوت اليوم عربة أعظم من عطاء المدينة رجالاً من  
 الفقراء فأماته ، وهذا الرجل أعرفه ، فهو أعمى فقد بصره  
 وهو شاب على أثر مرض الجدري ، عندما عجز أهله عن  
 مداواته ، وكان أبوه صانع أوان صفيحية ، فبقى الولد كلاً  
 على والده حتى مات فأصبح يتردد بين أحياء البلد يسأل  
 الناس ، فيعطيه الفقراء مما عندهم إذ كانوا يعرفونه منذ  
 صغره . وقد عدت الحادثة قضاء وقدرًا . فلم يكن لذوى  
 الرجل من دية إلا مالا يسيراً تفضل به التماس عليهم . واست

أدرى لم أحزن لهذا الرجل وكان حرياً بي أن أسر له، لأنه  
تخلص من حياة منكودة شقية. إلا أنى مع ذلك لا أنملك  
أن أفكر فى تقسيم الحظوظ إذا أنا ذكرته، فبينما يعيش  
أحدهم فى تراث آبائه، لا يكدر فى شيء، بل يقضى كل وقته  
فى تلذذ وترف، نرى الآخر يعيش بالكسـد القاطع والفقر  
المدقع، ثم تصيبه مصيبة فى عينه وهى نتيجة فقره، فلا  
يقدر على دفعها، فيحملها كارهها، ثم يموت هـذا الميتة البشعة.  
تحت عجالات صاحب الثراء. نعم إن هذا النـفى وأمثاله قد  
حطموا مثل ذلك الرجل حياً، فسابوه كل نعمة، ولم يدعوه  
يحيا كل حياته التعمسة، بل حطموه حتى خرج منها متألماً.  
فهل للحياة من قيمة؟ وهل لتلك المظاهر الدنيوية  
من قدر؟ وإذا كان لها قدر فكيف توزع النعم والمصائب.  
بين الناس؟ إن كل ما أرى يزيد فى نفسى عقيدتى الأولى  
رسوخاً، وذلك أننا ولدنا حتماً، ونحيا حتماً، ونموت حتماً.  
وما حيائنا إلا واجباً أمرنا به وعلينا أداؤه، ولا قيمة لما فيها  
من مظاهر وحالات، فها هذه الحالات إلا أعراضاً تـعرض  
للإنسان أثناء عبوره لها، فهى مثل الغبار الذى ياحق.

بذيل المسافر في طريق يسلكها.

١٥ أكتوبر . خرجت بالأمس بعد تفكير مؤلم في ذلك الرجل المسكين الذي قتله الغنى ، فلم أجد من أذهب اليه غير صديقي خفيبر السكة الحديدية . فلما صرت معه اخذت احادثه على عادتي : ولكنني نسيت نفسي فكلمته فيما كنت أفكر فيه بشأن الحياة وبإلّاها وزوالها . وانها واجب لا علم لنا بالمقصود منه وعائنا أن نطيع امر الله فيه وكان الرجل يسمع لي وهو متعجب مما أقول ، وكأني به قد ساء ظنه بي ، وحسب قولي دليل عقيدة مزعومة ، فأخذ يراجني في القول على غير عادته ، لأنه في العادة يسمع ما أقول قابلاً غير متشكك . فأخذ يقول لي « كأني بك تقول ان الحياة لا قصد لها » فقلت له « وهل تقدر ان تقول لي المقصد منها ؟ » فأجابني « اننا لأدري فأنا رجل جاهل ، ولكن الله خلقنا لقصد يعلمه ، ولو كانت الحياة باطلة فلم نحياها ، ولم جعل الله في قلوبنا حبها والرغبة فيها ؛ »

فقلت له « لقد قرأت الحق مع تواضعك ايها الصديق . إنك تقول إنك جاهل ، والحقيقة أنك أعلم قلباً بمن يدعون

تعلم غرورا . أنا لا أعارض في أن الله قصد من خلقنا ، ولكن  
هذا القصد لا علم لنا به ، فلهذا أقول إننا خلقنا لنحيا ولا نعلم  
لم ، خيانتنا حتم . أو هي واجب تقضية ، ثم نمضى عنها كذلك  
حتما . وأما حبنا للحياة ورغبتنا فيها فيل غريزي طبع فينا  
ولولاه لشعرنا بأن الحياه حمل لا قصد منه ، ولكان كل  
انسان يتخلص منها فيفنى الخلق ، فمواطننا المختلفة ماهي  
إلا طبعا جعلها الخالق فينا تخننا وتبهرنا . فنتقطع مرحلة الحياة  
على دفعها وإنارتها بغير ملل ، وتلبينا عن التفكير في الحياة  
وقصدنا وغايتها ، فننقضي الأيام بين اندفاع الانسان مع  
حبه وكرهه ، وطمعه ورعباته ، حتى تتم الرحلة ولم يشعر  
بوحشة المفازة ولا بطلان السير - تصوراها الصديق أنك  
قد نزع منك كل شعور بحب وكل شعور بكره ، اكن  
تقدر على البقاء ؛ انك تحب كل ما فيه سر ورك ، وتكره  
كل ما فيه ألم ، ولو لم تكن عندك هذه المبول اكنتم نجد  
الحياة معنى : »

والكنى انتهت عند ذلك الى الرجل ووجهه . فوجدت  
عليه علامات الشقاء بادية ، ووجدت في عينيه معنى الحيرة

والارتباك ، ففطنت إلى خطأى ، وعلمت أنى أريد أن  
أجذب الرجل إلى هوة شقائى وألم ، فأشفقت عليه من  
وسواس هذا الفكر ، وأخذت أخرج به الى الحديث  
المعتاد ، حتى زالت عنه تلك النظرة الحائرة ، وأحمد الله إذ  
رجع الى سابق ظنه بى بعد ذلك ، فقد وجدته عاد إلى  
محادثتى بالحرارة التى عهدتها عنده ، وقد عزمت على ألا  
أعود الى مثل هذا الحديث معه ، وباليث أنى أستطيع  
الحياة مثله بغير تفكير .

٦ أكتوبر - اليوم يئست من مساعدة عمى ونسيبه  
لأننى كنت ارسات الى صهره ( د ) بك أن يتوسط لى  
عنده لسداد ماعليه لى ، فجاءنى الرد منه اليوم ينفذ يده  
من أمر لايعنيه . واتقد كنت أنتظر منه غير ذلك ، فكان  
الخيال يصور لى أن ذلك الرجل ستدفعه الاريمية والنخوة  
الى أن يرسل لى دينى ، لانه غنى صاحب ثروة عظيمة ، مفضلا  
ان ينتظر هو على أن أنتظر أنا مع حاجتى وقلة ذات يدي .  
ولكن احمد الله على أنه رفض التدخل فى الامر ، فن الله  
خلصنى بذلك من ذلة ، وهل قبول مساعدة الناس الا

ذلة؟ اللهم احفظ على إبنائى ولو ظل ذلك مقرونا بفقر قاتل .  
وانى كلما خلوت الى نفسى ورأيت خلوها من أسر المادة  
التي تأسر الكثيرين ، اخذنى شيء من الإعجاب بها ، وحبذا  
الفقر اذا كان صاحبه يشعر حقيقة باحتقار حطام هذه الحياة .  
ولست ادرى ماهؤلاء الذين نسميهم الأغنياء ، لأننى  
كلما فكرت فيهم لم أجد الا فقرا فى نفوسهم ، وإقلا لا فى  
مخافهم . فأكثرت جامد ضنين . ومنهم الذى سرف ولكن  
على نفسه وترها ، ولا تسخو نفسه باطعام مسكين ، وعندى  
أن الشح اكبر فمر للنفس . وانى أعاف ان أكون غنيا من  
امثل هؤلاء ، فكلمة أمعنت فى تعرفهم لم أجد الا ظلا وسرقة  
وبطغلا ، فقصورهم الساخنة الى جانبها الاكواخ الخفية ،  
واذيلهم المجررة بحوارها عرى كامل . وما قامت القصور  
الا على انقاض الاكواخ ، وما تلك الديول المجررة الا أسلاب  
هذه الاجساد العارية . فأين لافى بذلك الغنى كله لو كان  
عادلا ، هل الناس لا يخاف بعضهم عن بعض فى المصدرة  
بمثل هذا قدر . وانى لا اتألمك الإعجاب باللص العرى الذى  
'نتقم من هذا' تحتهم الظالم بأن ابى السؤال وفضل النهب

قائلا في وصف كرمه للسؤال

وَأَنْ أَسْأَلَ الْمَرْءَ اللَّئِيمَ بِعِيره وَتُغْرَانِ رَبِّي فِي الْبِلَادِ كَثِيرِ  
الْأَعْدَالِ الْإِلَهِيَّ ، فَإِنَّ ظِلَّ النَّاسِ كَادٍ يَجْعَلُ فِي النَّفْسِ  
حَسَدًا . وَالَّذِي يَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ مَعْذُورٌ إِذَا هُوَ حَسَدٌ مِنْ  
يَعْرِضُونَ بِالْغِنَةِ .

٧ أكتوبر - اشعر هذه الايام بألم في جنبي وبقبضة  
في صدري ، وقد تزايد هذا الألم منذ الأمس عندما اتى  
رفض ( د ) بك أن يندخل بيني وبين عمي ، وإلكني قد  
اعتدت إن أنا تأملت أن أخرج الى الفضاء ، فهناك أجد في  
السكون والسعة ما يعيد لي قوتي وسألمس ذلك الدواء  
اليوم رغم برد الهواء منذ ليلة الأمس استأدري لم يسرع  
الشتاء كذلك ولم يغشى الصيف مسرعا ، فكأنني بالطبيعة  
ذاتها تعاكس الفراء .

٨ أكتوبر - ان المرص يزداد بي ، - لألم التلوي الذي  
كنت اشعر به في جنبي أصبح ألم مريح يتعنى انوم ،  
والضيق الذي كنت أحس به في صدري أصبح الآن بمنع  
النفس فيكاد يخفني ، وإني على ما أعليه من احتقار الحياة



وكرها جزعت من سرعة سير المرض بي ، ولعل أكبر مايجزغني هو التفكير في أمي وأختي ولكن ما أحسن أن يثق الانسان بخلاق عظيم يخلفه على من يحب إذا قضى نحبه، فان ذلك يخفف عن الانسان أكبر الموم واقساها. وأحمد الله إذ أرى عقيدتي تزداد رسوخا يوما بعد يوم ، فان العقل المغلق هو الذي لا يرى يد الله في هذا الملك العظيم ولا يستطيع من يفتح عينيه إلا أن يبصر بها قدرة التقدير وعظمته وجلاله .

١٠ أكتوبر . إن المرض جاذبي ، ولا يزال كل يوم يغلب واضعف عن مقاومته ، ولكن لن المس الأرض يجنبي ما استطعت غير ساعات النوم ، فان المرض قد تجدى فيه المقاومة .

لم يبق معي من وظيفة الشهر إلا غن القمح اللازم لمؤونة البيت ، فلا أقدر على الذهاب الى طبيب أو شراء دواء ، لأن القوت أولى من كل ذلك. ولا أقدر أن أعرض نفسي على طبيب وأرجوه إعفائي من الأجر ، فان نفسي تأني هذا كل الابهاء ، ولا سيما وقد علمت أن بعض الأطباء

لا يحملون نفوس الأُطباء .

١١ أكتوبر - شكرا لك أيها الطبيب الكريم ، وشكرا لك أيها صاحب المحسن . إن صاحبنا ما كنت أظنه يهتم لأمرى ، سأل غنى . فقيل له إني مريض ، فجاء يعودنى مع صديق له ( الدكتور محمود ) وقد تطوع الطبيب بفحصى ، ووصف لى دواء ، وأوصانى بأن أقيم فى مدينة غير ( دسونس ) لأنها رطبة الهواء . نعم أيها الطبيب ، سأعمل بأشارتك ، فأذهب إلى حلوان ، وهناك أستأجر بيتا ذا حديقة واسعة ، وأشتري له ثياب الرياش ونخم الأثاث ، وإن يمضى على هناك شهر حتى أبل من مرضى - إني أضحك ضحكة يأس باردة عندما أفكر فى هذا ، لأن أمثالى من الناس إذا مرضوا كان حتما عليهم أن يذهبوا ضحية المرض ، ومن يكون له موت إذا لم أكن له أنا وأمثالى : - دعى أيها الطبيب حيث أنا ، وإذا شئت أن تداوينى فاعلم أن عانى قسوة المجتمع وظلمه ، فداؤ هذه الأمراض إذا استطعت ، ولا أخالك تستطيع ، وماذا يفعل الآسى مادام هناك مارد يقطع الأوصال ويخز القلوب .

إني أقتل قنلا بطيئًا ، والذي يقتلني هو ذلك النظام  
الذي يحمي السارق والغاصب ، ويحارب الجشيع ، وبطل القاتل  
تحت جناحه .

١٢ أكتوبر . لن أفكر بعد الآن في أمر مرضي ،  
فإذا هذأت ثأرته حمدت الله على ذلك . وإلا استسلمت لما  
شاء ، واست أقدر على النعود في منزلي ، فإني إن لم أقم  
بعملي مت أنا ومن معي جوعاً - نعم متنا جوعاً بلا ريب  
فليس في النار من يرضى أن يحى آخر يموت من الجوع  
إذا كان ذلك يكلفه كسرة مما بيده . لا بل أستغفر الله إذ هناك  
من تسخر نفسه ، وهذا السخى هو الفقير الذي  
لا يتدر على شيء . . ولكنني أستغفر الله ثانية ، قبل نسيت  
فهم : فلا أدع ذن ذلك التفكير . ، ولأرجع بنفسى إلى عاداتها  
من الخروج إلى الليل والنضاء الواسع ، ولأغرق آلام  
جسى في لدات روح ، وعلى أستطيع أن أعيد اليها  
هدوءها وأملها .

مساء اليوم - خرجت اليوم قبيل الغروب إلى ظاهر  
لمدينة عند حاجتي تنفير السمكة الحديدية ، فوجدت كل

شئ، على عهده إلا شيئاً واحداً وهو أنا، فأتى تعبت في السير  
 تعباً شديداً على غير عادتي، وقد رأيت الأصيل ساحراً  
 فكانت السماء مزينة بالسحب المتقطعة البيضاء، ثم كساها  
 الأصيل من الألوان ما يعجز عن وصفه اللسان، وكانت  
 زهور الخريف الصفراء ترفع رأسها بين الحشائش الخضراء،  
 والعصفور بصفر صفيرة المتقطع القصير كأنه طفل مرح .  
 فما زلت جالساً وقد استولى على سحر هذا المنظر، حتى أقبل  
 الليل وظهرت النجوم البعيدة تلمع في السماء . والريح تهب  
 بين الغصون فنحدث صوت حفيف محزن . فذهب ذلك  
 المنظر بالخيال إلى بعيد، فنظرت إلى النجوم القديمة التي  
 شهدت الأرض ومن جاء فيها منذ قرون، ولا تزال هي على  
 عهدنا السابق نابع وتنظر جامدة لا تحرك إلى الحوادث  
 التي تهز هذه الأرض وتغيرها . فأخذت أسأل النجوم أين  
 ذهب من ملكوا الأرض . وأين راحت عظامهم، وكيف  
 اندثرت آثار حوادثها وكأني عند ذلك كنت أسمع النجوم  
 نجيب ضاحكة قد ذهب القوم وما كانوا كباراً، نعم لقد كان  
 عظماء هذه الأرض أطفالاً كنت فيهم بعض القوي، فساروا حيناً

حتى نفذت قوتهم غلبت الثورة ومضوا - وما الفرق بين  
 طفل يصرخ حتى يملك لمبته؛ وبين ملك عظيم لا يزال حتى  
 يملك الأرض؛ فإن الميل واحد وإن اختلفت مظاهره .  
 ومن أعجب الأمور أنى عندما رجعت إلى ديوانى  
 المحبوب وجدت فيه قطعة تصور خيالى، فقرأتها وأنا أهتز  
 لها، ثم تنفست نفساً عميقاً، وكأننى فهمت منها سر الحياة  
 فبدأت، ويخيل لى أنى لو مت الآن مت مستريحاً مطمئناً  
 وهامى القطعة .

واسجى الذبول	راقصى ياسحب أنوار السماء
بدم الأصيل	واخضى كفيك يا جند ذكاء
يلثم الأفنان	ونسيم الريح من صوب الشمال
عن ربي الريحان	ناشراً من عطرها السحر الحلال
حلوة عذاب	هذه الأنفاس أنفاس الربيع
موتق الشباب	نم هذا الحسن فى الروض النسيم
لؤلؤ منشور	وقطار الطل فى سلك الغصون
صاحك الزهور	وأدم الأرض ألوان فنون
ردد النواح	أبها الصادح فى أيكته

فبكاء الطير في دمعته      بلسم الجراح

\*\*\*

غير أن الشرق القى ظمأ  
واختفى الحسن وشيكا متلما  
وأنى الليل على صولته  
وبدت تسطع في منفحته

\*\*\*

إيه يارُزهر تعاليتِ على  
مشرفات من محلات الملا  
حدثينا أيها الزهر بما  
فلكم شاهدت فيها حكما  
هذه الأرض لمن كانت وما  
حُطما أبصر تعلو خطا  
أن رمسيس على دولته  
قلعد شاهدت من طاعته  
أين دارا صاحب الملك المجيد  
أين اسكندر ذو الفتح البعيد

ذلك انوجود  
أبد الخلود  
مر من دهور  
تعتا الغرور  
هذه الآ ناز  
تملا الأفتار  
ومعاق — له  
وجحاف — له  
ملك النورى  
أسد الشرى

أين هرون وما جنّاته في ربي بغداد  
وابن جنكيز الذي ذلت له عزة الأجماد  
النجوم

أنا هذا أبد الدهر أرى سيرة الأجيال  
زمرّاً أبصرت تتلو زمرا تسرع الترحال  
مالذي تسألني عنه وما هذه الأسماء  
حاء اقوام وفاقوا أمما ضمها النّساء  
ليس فين مرّ الاذاهب طائع الأمر  
وسواء مبطل أو دائب آخر السير  
أي شيء ضل فيه السائلون مدة الآباد؟  
نفس منبعث ثم سكون هادي الرقاد .

١٥ أكتوبر . كان المرض قد سكن عني في اليومين

الماضيين ، ولكنه عاد الى اليوم ويكاد صدري يتزق من  
ألمه . وأرى المرض جادا على حين أنا أهزأ به . رويدك  
أيها المرض ورفقائي ، ولست أطلب رفقتك حبا في الحياة  
ولكن لأزلي أما وأختا .

اخذت أفكر في طريق أستطيع بواسطته أن أنجي

حياتي من ذلك المرض الذي يخيل إلى أنه خطير. برغم استخفافى به، فكما طرقت سبيلا وجدتها مغلقة، ولا يلوح لى أمل إلا من جهة واحدة، وهى جهة صديقى فريم. الذى واقعت فى حيرة إلا كان هو منقذى منها. فلا أُرسل إليه هذه المرة أيضاً، لعله يجدى عملاً بالغاهرة واست أخشى منه أن ينقص قدرى عنده فإن نفسه ليست كنفوس الناس. وإننى كلما فكرت فيه مررت على صدرى نسمة طيبة، وارتسمت على وجهى ابتسامة ارنياح فى أى حال كنت، ولو فى أشد ساعات انهم وأحلكها ومما يزيد رغبتي فى البعد عن «دسونس» ما رأيته على وجه (ع) بك من التغير. فكأنه تأذى من كثرة امرأتى وفاة عملى هذه الأيام. فأصبح منجماً غابسا نحوى وأنه معذور، ولا أخشى إلا أمراً واحداً منه. وهو أن نبدر منه إهانة لى.

إننى أريد أن اسرع بترك المدينة قبل أن يصل الأمر إلى هذا الحد، فإن الحياة لا تسوى أذنين الإنسان فيها. وإنه يخيل لى أن الموت أهون على من نحمل لأذى فى



كرامتي ، فان نفسي متكبرة برغم كل ماأنافيه . ويلاه :  
 إن هذا ممايزيد في شقاها ، فان أحسن عاطفة ينبغي أن  
 تكون في قلب الفقير هي عاطفة التواضع واللين ، أوبقول  
 آخر الضعة ونحمل كل شيء . فإذا لم يكن الفقير هكذا ،  
 قضى أيامه على الألم المبرح زيادة عنى الفقر القتال .

١٦ أكتوبر . ذكراك يابني لاتزال تعاودني ، ورحمة  
 الله عليك في منوائك البعيد ولو كنت أعتقد في الأحلام  
 لقلت إنى لاحق بك بعد قليل . لأنى اراك كل ليلة في منامى  
 وأقبل يدك وتبسم لى ، ووجهك ممتلى ، وعيناك تضيئان  
 نوراً . وباليئنى أقدر أن احيى إلى جديك ، فأبأله ببعض  
 تلك الدموع اتى أذرفها كل يوم . رحمت الله يابني ، فكان  
 روحك من تشجيتى واتصبرنى ، لأنى إذا ذكرتك هانت  
 عندى كل آلام احياد وشقاها .

١٩ أكتوبر . امامى الآن داعيان ، احدهما من كفر  
 الشيخ ، وذلك ان احداً صدفنا ابني أرسل إلى يعرض الاشتراك  
 معى في اجارة وقد اندفع إلى ذلك بحب . ساعدتني إكراما  
 لذكرى أبى رحمه الله . وإن سعيه لشكور ، ولسكنى لاأظن

انى اقدر على تلبية ما يعرض . واما الداعى الثانى فن صديقى  
 فهم اذ ارسل الى خطابا يقول لى فيه :  
 يا عزيزى محمد

« ألا تزال على عادتك قرويا ؟ إني لن اسميك إلا قرويا  
 لما اعرفه فيك من حب الفضاء والبعد عن المدن . وقد  
 تركتك كل هذه المدة لم اعرض عليك شيئا يخالف رغبتك  
 فى الوجود بدسونس ، لما كنت اعرفه فيك من حب العزلة  
 والبعد عن ضجة المدن الكبرى . ولكنى رأيتك حنت  
 الى القاهرة ، لأنها مدينة شبابك ، وقد سرنى ذلك .  
 واخبرك ان عندى بالماهرة عملا ترضاه ، فاحضر لى فى  
 أقصر وقت ، لأننى مشتاق اليك وعسى أن تكون شبع  
 من مناظر الطبيعة القوية الجميلة . وعلى ذاك ارجو أن  
 تترك لى الحرية فى تسيرك حسب ما أرى ، ولا تغضرنى  
 بأهالك الكبيرة ، وملاحظات العدة ، لى اسير حسب  
 هواك . افهمت ؟ وإني اندرك من الآن . لك إذا كنت  
 تريد قصر سيرك ورياضتك على شبرا واحيزه . والعمجاء  
 الواسعة والفضاء اللانهاى . وحقول البرسيم وزهر القفون .

فاني اكون مضطرا عند ذلك إلى أن اضنع على عيني غطاءً ،  
وفي اندي سداً ، وأجعلك تهودني في كل رحلاتك كما يقاد  
الأعمى الأصم ، وهذا يكون عقاباً لن تستطيع احتماله ،  
فتنزل على حكمي برغمك . وتعيش مع الناس أبناء آدم .  
إلى الالفاء يا عزيزي ودمت لأخيك . »

شكراً لك يا عزيزي « فهم » إني احبك وأحب كل  
مانقول . رسأذهب اليك ولعلني استطيع أن أبقي بجانبك  
لأنني أشعر بالاجة إلى ركن آوى اليه .

٢٢ أكتوبر - سمح لي ( ع ) بأن بإجازة طويلة لمرضى  
وأغرب شيء أنه سمح لي بها بغير تردد ولا غضب برغم  
ماكان باوح لي منه من "البوس تلك الأيام الماضية ، ولا  
أدرى علة لذلك ، إذ أن يكون ابو فهم أرسل له في هذا  
بناء على إيماء فهم ، فني أميل دائماً إلى أن أعزو كل حسنة  
في العالم إلى ذلك "صديق . وأعاب ظني أن حدسي صادق  
وأنني عظيم الألم لأنني مضطر إلى أخذ بعض وظيفتي  
لأصرفه في سفرى المقبر ، ولكن لعل فيه رجاء يعوض  
تلك الخسارة . وأشعر بشيء كبير من الاضطراب كله

فكرت في أنى سأترك أمى وأختى هنا، ولو ان ذلك مؤقت  
إلى حين، لأننى لا أحب يوماً يطلع على غير حديتهما  
والنظر إليهما. وفي نفسى شعور آخر ولا أستطيع أن  
أعلاه - وماذا أقول: ان القلق والاضطراب يصوران في  
خيالى صوراً مخيفة فأشعر بأن سفرى للفاهرة هذه المرة  
سفر منحوس لن أعود منه.

٢٥ اكتوبر - لقد عرض على فهدم العمل لئلى وجدد  
لى بالماهرة. وهو محرر فى صحفة، وقال: "سيجد لى فرصاً  
أخرى بعد قليل، والحق أنى لا أميل إلى ذلك العمل فى  
قرارة نفسى، فعدل الصحفى مبنى على الانصال بدلات المجتمع  
وأنا أتمس البعد عنه والهروب منه وأجد فى تنسى كرها  
عميقاً للمجتمع سلبنى والذى - نعم سلبنى والذى، لأنه هو  
الذى قتله، وسلبنى نفسى - ويلاه من ذكرى أمى وأختى:  
إن هذا المجتمع الذى يُقتل فيه البرى، فقراً وضللاً،  
ويحتذى تحت ظل قانونه اللاص والظلم والجور ونشاكل،  
لمجتمع يجب الهروب منه بكل وسيلة. فاذ أنا كنت محرراً  
فى صحفة، فإن أكتب الا فى هدمه والكشف عن دنياه

ومساوئله، وسأكون بذلك خارجاً عليه متعرضاً لكرهه وأنا أود المرور من ذلك العالم سالماً ساكناً . فلأترك ذلك ولا أمتع النفس بجمال القاهرة - لابل لأشبع قلبي من ذلك العالم، لأنني أشعر أنني تاركه بعد قليل، وإنه يلوح لي الآن جيلاً وكأن نفسي ضنينة به - عجيا ! وكيف أحب الحياة في عالم لم أرفيه إلا كل ما يدعو للمقت والكره ؛ إنني أكره العالم والحياة بعقلي ولكن حب الحياة طبع في غريزة الانسان فهو أس البقاء . ما أجمل سماء القاهرة في هذا الوقت، فهي صافية لا يعكرها شيء كأننا في ربيع . ويجهد صديق (فهم) أن يدخل لقلبي السرور بكل وسيلة فهو يدور بي على نواحي القاهرة، ويذكرني بذكريات الماضي، ولكنني أشرد منه دائماً إلى التفكير في مساويء المدينة - في شقاء وترف كائنين تحت سماء واحدة، وغرور قوم وحطام ضحاياهم جنباً إلى جنب، وفي حال الناس وأن جماعة منهم يقعدون عن السعي ويرددون بين أما كن القصف والتهو، من ناد إلى مسرح إلى مأخوذة إلى غير ذلك مما يقتلون فيه وفقهم الطويل، وأن آخرين لا يجدون القوت رغم كد يذهب بنفوسهم . ولهذا أجدني

لا تلم لي لذة بجمال القاهرة ، ما دامت صورة ذلك الجور ماثلة في ذهني . وهناك أمر آخر يزهدني في حياة تلك المدينة المتسعة وهو ضجيجها الدائم وكأني بضوضائها قد زادت علواً عما كانت عليه في الماضي ، ولعل سبب ذلك بعدى عنها هذه المدة . فلست أجد من نفسي ميلاً إلى الرجوع إلى الحياة في هذه الجلبة رغم ما بالقاهرة من جمال ، وأفضل أن أبقى في ( دسونس ) بعيداً في وسع الحقول والغدران .

٢٦ أكتوبر - يصر ( فريم ) على تسميني ( القروي ) حتى في أثناء السير العادي ، وليتني كنت كذلك فأقضي الحياة في بضعة أفدنة أفلحها وأعيش قانعا . واسكن أنى لي ذلك وقد أحاط قوم بالنعيمة ولا حظاً بينهم مثلي .

ذهبت اليوم إلى القصر العيني ليراني أطباؤه بالبحران . وقد وصفوا لي دواء ، وأشاروا على بالهواء النقي والأكل المفيد ، نعم وسمعا وطاعة فاني سأعد كل يوم مائدة جميلة للعشاء ، وأخرى للعشاء ، وأعيش في منزل جميل في مصر الجديدة أو حلوان . ولكن سيكون كل هذا في الخيال فالحقيقة مرة . فهل هذا يشفيني أيها الأطباء ؟ إنني أضحك برغمي . أيها الأطباء ،

إذا شئتم شفاء مثلى فاصرخوا في المجتمع وداووه أولا ،  
فان داءنا منه والى كنكم لاتفكرون .

٢٩ أكتوبر . قد تكون الحياة بالقاهرة طيبة اذا كنت  
افضى كل وقى كما اعتدت من قبل ، بين الحقول والرياض ،  
وتحت السماء والنجوم ، وقد تأكدت اليوم من أنى لن استطيع  
الحياة فيها بين اهلبا وفي ميدانهم - فصحتى يضر بها الضجيج  
اكثر مما تضر بهارطوبة (دسونس) ، وارى هنا حياة لا اقدر  
على التشكل بشكلها واذا صبح راي اصحاب مذهب النشوء  
والارتقاء فأنا غير صالح للبقاء فى نضالها ، لأن ذلك يحتاج  
إلى قوة وشره وانا على جانب عظيم من ضعف الطيبة والزهد  
ولا مدح فى ذلك ، لأننى اعتقد ان الطيب لا يصاح للبقاء  
فى هذه البيئة الحاضرة .

حقا ان كل ظاهر الناس هنا مفرحك فى سخافته ونفاهته  
والى كنهم رغم ذلك لا يدركون انهم سخفاء ، بل يظنون  
انهم بانعوا اعلى درجات الرقى . ذرى المدينة . فقد ذهبت  
منهم طباع الفطرة ، وأصبحوا متكلفين فى كل شىء حتى فى  
اظهار الشوق والحلب ، وحتى فى الأكل والجاوس ، فجعلوا

لكل شيء قواعد وحدود لا تطبقها النفس . وقد أكون أحيانا في حالة من الألم شديدة ، والهم يخيم على نفسي ، فإذا ما أبصرت جماعة من مثل من اصف ، ورأيت كيف يتخاطبون ، وكيف تبدو ويولهم وتظهر عواطفهم . اخذني الميل الى الضحك حتى ضحكت برغمي ، اذ خيل لي اني ارى دُمى تحرك اعضاءها حركات غير طبيعية ، لاختلافها من الأحياء .

ولا اظلم نفسي ، فاني اكبرها كلما رايت استذواق المادة والحياة للناس ، واستيلاءها على قلوبهم ، مع حرية نفسى من ذلك الأسر ، واحتقارها لما يتباهى الناس عليه .

٣٠ أكتوبر . اليوم حضرت مع فبهم مجلسا من محاسن الأدباء ، وكان في الجلوس جماعة ممن يقولون الشعر . ولكن نفسى لم ترجع الى أحد منهم . وكان كل منهم يحاول بقدر استطاعته ان يظهر براعته في القول . ويكشف لنا عن محاسن نظمه ، وكيف يولد المعنى الطريف ، وينظم النظم الأنيق ، وكان في الجلوس فتى أصفر الوجه ، اذا نظرت الى عينه فكأنك تنظر الى شعاعين . هو ساكت وهىء



من العبوس ، وكان كلما قال أحد قولاً تبسم ومدح ما يقول ، فوجدت من نفسي ميلاً يرغمني على السؤال عنه ، فأخبرني فهِيم أنه فتي ساكن حزين ، خرج من المدرسة بعد اتمام الدراسة وقد تهدمت بنيته ، حتى لا يستطيع العمل الكثير ، ولذلك بقي يعيش على كسبه القليل الذي يصيبه راضياً ، وبعض أكثر أوفانه في الفضاء مع الطير والشجر . واصناف الى ذلك انه شاعر ، ولكنه لا يقول كلمة من شعره امام الناس الا اصدقاء قلائل . وقد طلبت من فهِيم ان يسمعي بعض قوله وما كان اعظم سروري بما سمعت منه - فانه بعد انصراف الجمع ذهب مع فهِيم ومعى الى الجزيرة ، وقضينا هناك مساء من اجمل اوقات حياتي . وقد اسمعنا شيئاً من قوله ، لو استطعت لجئت به جميعه ، واكتفى هنا بأن اثبت شيئاً على سبيل الاستذكار ، فلا أحب ان انسى ذلك الفتي الساكن الاصفر الوديع الناعم ، لأنني احببته برغمي لشيء فيه لا اعرف ماهو ، ولا بد ان ابقى عندي ما يستبقى صورته . وهاهي قطعة من قطعه :

«كلُّ يرى الحق على زعمه»

هي الشمول غير ممزوجة  
تدب بالساق وبالسارب  
في روضة شعناء وحشية  
لم تنتقص منها يد الشاذب  
الزهر منشور بأخائها  
والماء من جنب إلى جانب  
دقائق اللذات مخلوطة  
فلا سماع اليوم للعائب

\*\*\*

لكن أشجانا يخالجنى  
وهل تلهو الكاس للأغب  
ياصاح لا تلتأ إلى أن أرى  
مطيباً لعمى الناصب  
يا زهر! إن أسوت لى مهجتي  
لازات محمولا على حاجبي

أرى خصالاً فيك يعجبني  
على صفاح وجهك الشاحب

جواب الزهر

تشكو إلى ذي قرحة إنني  
أحق بالشكوى لما حاق بي  
ما كنت للناس سميراً وما  
خلقت للعابث واللاعب  
خلقتي دهرى وما حياتي  
ثم رمى جبلى على غاربي  
يأليته - وهل تفيد المنى  
حسبي إذن بدمعى الساكب

\* \*

قد جئت أشتفى إلى مدنف  
حسبته ذا مرح دأب  
أخفى هموماً في غللاته  
وغرني بظاهر كاذب

لكن هذا جدول سلسل  
 قد أشتى بمائه الشاب  
 ياماء إن برئت من على  
 على يدك لم تول صاحي

مهاب الماء

جريت بالوادي فأحييته  
 من أشجرفيه الى عاشب  
 أخنو على العود كأم له  
 رشفه من درة حالب  
 حتى إذا ماصار ذا جرة  
 تشب للمقرور والساغب  
 لم يرع حتى وكواني بها  
 واحربا من أمل خائب

\* \*

حسبت هذا الماء يشقى الجوى  
 وكيف يستشفى الى ناحب

ياصاح فاطو الراح محتومة  
 لاخير لى فى ريقها الخالب  
 لكل حى فى الورى علة  
 لم يخل حى فيه من نادب  
 كل یرى الحق على زعمه  
 فالحق منشود بلا طالب

أول نوفمبر . عازمت على ألا أقیم فى القاهرة، وقد قالت  
 رأى لصديقى فہیم فرأيتہ تكدر عند ذلك ، ولكنه نظر  
 إلى وقال « إنك لا تزال قرويا . ألا تريد أن تصالح يا أيها  
 الساذج ؟ » فقامت له واعلم يا فہیم أن بلدكم لا تسكن فاتركنى  
 أرحل عنه ، وأظنك لا تلومنى على ذلك الشعور فى قرارة  
 نفسك . فنظر إلى وسكت لحظة ثم قال « ولكن يا أخى  
 ألم يقل لك الأطباء إن جو القاهرة لا يلائمك غيره ؟ » ولم  
 يرد أن يطيل فى ذلك ولعله ظن أن ذلك القول يؤذنى .  
 ما أطيّب قلبك يا فہیم ! إن القاهرة أو أى بلد آخر فى  
 الوجود لا يفيد مثلى شيئاً ، فلا أرجع إلى مقرى الهادى .  
٦ نوفمبر . تذكرت اليوم آلامى الماضية فى محل عملى

بمدينة دسونس ولكنى مع ذلك أرى أنى سأكون معرضاً  
لمثل تلك الآلام فى أى عمل آخر ، وعلى ذلك فقد عزمت  
أخيراً على الرجوع إلى عملى الأول .

١٠ نوفمبر . إن مثلى لا تفيدُه الإقامة فى أى بلد ،  
وكيف يستطيع أن يأتى بالدواء وأن يقوم بشروط التداوى  
من مأكل جيد ، وسكنى مواتقة ، مع ما هو فيه من العيشة  
الضئيلة . وإنى أشعر أن مقامى فى هذا العالم قليل ، ورحم  
الله أبى لقد كان يقول لى ذلك فما كنت أصدق — كان يقول  
إنه يشعر بدنو الأجل وهأنا الآن أشعر بتشل ما كان  
يشعر به .

١٢ نوفمبر . أفكر فيما إذا مت ماذا يكون حال من  
بعدى ، فتسود عند ذلك الدنيا فى عيني لأنى لا أرى  
أحدًا يقوم عابهم سواى — إلا الله .  
ما أجل الوثوق بالله ، والاتكال على عطفه ! إن المؤمن  
الحقيقى لا يجد فى الحياة هما يتلأ نفسه ، ولا يجد فى الموت  
خشية ، فآلق اللهم فى قلبى إيماناً قويا .

١٥ نوفمبر . كيف يقول قوم من الناس إن لا إله ؟

اعميت عيونهم؟ ومن يكون إذن خالق تلك العوالم  
 للتمسعة وهذا الفضاء الفسيح وذلك الملكوت العظيم؟ من  
 لهذا الضوء وهذا النسيم، ومن بارى تلك النفس وموجد  
 تلك النباتات وهذه الحيوانات؟ ما أكثر غرور الانسان  
 ووقاحته إذ يقول ان لا إله . إن من يقول ذلك لا بد قد  
 افسده الغرور واعماه الجهل .

رب اخلقني فيمن احب، فقد دنا الأجل على ما أرى.  
 رب إني واثق بك فاخلفني فيمن أحب .

١٨ نوفمبر . طالت إجازتي عما كنت أقدر، فلا بد أن أعود  
 بعد قليل إلى عملي، ولا أظن زمنه طويلاً لأنني أرى الآمال  
 تحبو في نفسي، فلا أفكر الآن كثيراً كما كنت أفعل،  
 ولكني برغمي أفكر فيما يكون حالك يا أختي لو ذهبت  
 عنك، وماذا يكون حالك يا أمي .

إن املاً كنت أسعى إليه منذ سميت لم يتحقق، وما  
 كنت أسعى إلا لسعادة أهلي، فأبت الأقدار إلا ما كان.  
 ماذا يكون مستقبلك يا أختي - يا أيتها الزهرة الجميلة؟  
 إن جمالك يتفتح الآن أمام عيني، وأكبر من جمال خالقك

جمال خُلقك ، لم جعلك الله ابنة هذه الاسرة التعسة التي  
 ليس لها سوى ؛ وكيف تكون أيامك المستقبلية إذا أنا  
 غبت ؛ وما يكون اشوق تربى إليك وافلق روحي إلى  
 معرفة اخبارك ؛ إني لا يحزني ذكر الموت الا لأنه سيبعدني  
 عنك وعن امي يا أختاه - أو اه ؛ ان جسمي لا يحتمل ألمي .  
٢٠ نوفمبر . أرى أن أكتب وصية على أن ليس لي  
 ما أوصي به ، ولكنني أريد أن اوصي على من خلفت ، فاذا  
 كان للعالم قلب شعر . وليس أمامي من اكتب له الوصية إلا  
 صديقي ( فهم ) ، وسأكتبها وأعطيها له مع توصيته ألا  
 يفتح المكتوب حتى أفضى - نعم حتى أفضى وليس أمد  
 ذلك يبعد ، لأنني أشعر بدنو الأجل .

٢١ نوفمبر . يمنعني صديقي من السفر ، وهذا ؛ إني  
 أشعر باضمحلال في قوتي وضعف في كل اعضائي ، حتى  
 في جفوني وأسناني ، واخشى ان أموت هنا بعيداً عن اهل  
 فينالهم من ذلك اذى في الانتقال الى حال الذعر . ما شد  
 الفراق على نفسي ، ولا سيما فراق امي واختي ؛ وإني أشعر  
 الآن بشوق محرق إليها .



اشعر الساعة كأن اعضاءى تنفكك ، وبألم فى مفاصلى شديد ، وقد ضعفت ضعفاً اخشى انه إذا زاد لم استطع السفر ، ففيم المقام ؛ لا اطيع الاطالة فى الكتابة لان عيني تتألمان ، وظهري لا يستقيم .

٢٦ نوفمبر . هذا ما كنت اخشى . أموت بعيداً عن أهلى كما مات أبى ولم اره ؛ لا بد من السفر مع ما انا فيه من الضعف الشديد ، وقد وعدنى صديقى ان يأتى معى ليعتنى بى ، فشكر الله . شكراً لك يا صديقى فهم .  
فى مدينة دسونس

يأمر اخى أخذ القلم لا كتب ما يلى على —  
٣٠ نوفمبر . لا أستطيع أن أكتب ، ولكنى أريد أن أكل قصتى ، حتى أمضى ، لتكون آخر صحيفة من حياتى كاملة . ولذلك أنا أمل على أخى أن يكتب لى : جاء معى صديقى فهم ، وهو الآن فى المدينة ليشتري لى دواء وإنه يضطرنى إلى شربه ظناً منه أن فى الأجل بقية ، ولكنى أدري منه بما هناك . إنه لا يرضى ان يأخذ منى ثمن الدواء وأنا قاتل منه تلك المنة ، كما قبلت غيرها منه بغير كره ،

لأننى أعلم ان الدافع له على ذلك حب لاربابه فيه . وقد اعطيته  
الكتاب الآنف الذكر ، واخبرته الا يفتحه قبل موتى .  
مالك لا تكنين ؟ اكتبى اكتبى كل كلمة اقولها ، فهل يبقى على  
الارض احد : مالك تبكين ؟ قولى إنا لله وإنا اليه راجعون .  
اكتبى كل ما اقول ( وعند ذلك اشار اخى المحبوب الى  
مؤكد ان اكتب كل ما يقول حتى قوله « اكتبى كل ما اقول »  
٢ ديسمبر . لم نشر بعد مؤونة الشهر من الحبوب حتى  
اليوم ، وقد فعلت أمى ذلك زعما منها أنى قد أضطر إلى  
شراء دواء او غيره ، ولكن القوت لا تستغنى عنه ، ولا بد  
من شرائه ، ولا يزال صديقى فهم بيعت فى الأمل ولكنى  
اراه قليلا ، ولا رغبة لى فى الحياة . لا والله إني احب ان  
أحيا على كره ، وذلك لكى ارى كيف حال اختى وامى . بن  
المرض قد نزل بى اولا فاستهنت به ، وفدزاد حتى أصبحت  
لا اقوى على احتمال ألمه ، وكانت زيادته نجاة ، إلا انى واتق  
بالله وهذا يخفف عنى كثيرا من الآلام .

\* \*

أخذ القلم للكتابة - انا فهم ، واكتب كل ما يلىه

على صديقي محمد، لأنه يرغب هذا وأنا لأود مخالفته .  
 إنه كثير الهم بلا موجب ، وأنا متأكد من انه سيبراً من  
 مرضه ، ويقوى بعد ضعفه بأذن الله بعد قليل . أراه يسعى  
 لإزالة الدموع في عيون من يزعم أنه يحبهم ويعمل على إيلام  
 أفسدة الذين يقول إنه يحب أن يحيا على كره من اجلهم ،  
 ولكننا نفتخر له هذه المغالطة ، ونسأل الله التمجيل بشفائه .  
٦ ديسمبر . لم ترض أختي أن تستدري في الكتابة لي  
 وقالت إن ذلك يقتاها ، فهي لا تستطيع ان تكتب كلمة .  
 « موتى » بيدها . وها صديقي يكتب لي بدلها . أشعر  
 ببعض اطمئنان كلما أرى حولى من يهتم لأمرى ، ولعل  
 ذلك المهتم قد ارسله الله ليساعدنى في تلك الشدة . وماخاب  
 من وثق بالله .

٨ ديسمبر . ها قد اصبحت عاجزاً عن الأملاء ، إذ  
 أشعر كأن انقاسى تخونى ، وان صدرى لا يستطيع دفع اللفظ  
 إلى اللسان . تغيض نفسى يوماعن يوم ، ويلوح لى أن قد تمت  
 الصحيفة . تمت قصتى ، فوداعاً أينها الكرامة ، لأننى لن  
 أعود اليك . تمت حياتى التى كنت أتساءل كيف تتم ،

وأكثر من التفكير في شأنها . ألا من مبلغ هذه الصرخة إلى المجتمع ، يرى صورة ضحية من ضحاياه ، ولما نزعها . ولست في مقام الحائق الغاضب ، لأنني على أبواب الآخرة أستهن بكل تلك المادة الدنيوية ، فليكن الغضب والحق للأحياء ، فأنا على وشك تركهم إلى عالم العدل ، عالم المساواة . إلى العالم الطيب والمقام الكريم .

تكملة القصة بقلبي أنا فهم صديق المرحوم محمد

مساء ١٤ ديسمبر . بدأت اكتب منذ يومين لصديقي محمد ، ولكنه في هذا اليوم لم يستطع أن يتلى أملاءه العادي بل كان قوله متقطعا ، ولما انتهى أو ما إلى أن أطوى النكراسة ولوى وجهه نحو الحائط ، وكأنني به كان يبكي عند ذلك . فلم استطع البقاء هناك إلى جانبه ، وتركته أحجرة وفي يتمزق ، وخرجت إلى الحجرة المجاورة ، وهانا فيها اكتب هذه الكلمات والدموع تسرح ما اكتب .

١٥ ديسمبر . اظهر محمد اليوم صباحا بعض اقنوة ، ثم لم يلبث ان رجع الى حاله من الضعف ، وهو لا يكاد يتكلم كلمة واحدة . ولكن عينيه تنطقان احيانا بالضرر ، وحياء

بالدموع. مسكين يا عزيزي محمد، فان قلمي ينفطر كلما راك  
تبكي، وانت على هذه الحال، لأنني اعلم سبب بكائك، فما  
هو حزنا لتوقع الموت بل هو لخوفك على من تحب.

١٦ ديمبر. ماذا عسى ان يكون في ذلك الكتاب  
الذي اعطاه محمد لي؟ واني اخشى ان امسه تشاؤما، وانا  
كثير التشاؤم — لا اريد ان امسه خشية ان يكون فالأ  
غير حسن لصديقي، لأنه اوصى ألا أمسه إلا... لا اريد  
ان اذكر كلمة واحدة تؤذن بشر له، واسأل الله له الشفاء  
وهو القدير.

مساء اليوم. هدأت دموع محمد، وهو الآن ساكن.  
وأرى على وجهه انطلاقا كأنه استبشار بشفاء قريب، فهل  
تتحقق الأمان؟ إن امه واخته لا تزالان على البكاء كل  
حين؛ وانهما لجديرتان بذلك، إذ ليس في الناس من عاش  
غيره كما عاش محمد لهما. ولا يرضى صديقي ان يبقى إلى جانبه  
في الليل كمادتنا، وهو يلح في ذلك إلحاحا نخشى ان نعارضه  
فيه. وقد طلب منا ان نعدل له الفراش إلى جهة القبلة،  
وقد اجبناه إلى ذلك بقلوب تنمزق، لأننا لانستطيع أن

نخالفه ويلاه لو حدث ما يتنبأ به ! إني اسمع الآن نحيب امه  
أعانها الله على الصبر ، فهي مسكينة . ولا أستطيع أن اسمعها  
تبكي بغير أن أجيب ، وهأنا ابكى برغمي .

نصف الليل . بعد أن قنا من عند محمد ، ذهب كل  
إلى مخدعه ، ولكني لم البث أن سمعت صوت أمه وهي  
تبكي . فانها لم تقدر أن تذهب لتنام ، فأخذت تخلص  
النظرات بين حين وآخر إلى غرفته ، وقد رأت منه  
حركة مضطربة هذه الساعة ، فذهبت الى جانبه تسأله عما  
يجد ، ثم خرجت من عنده ولعله طلب منها ذلك ،  
وهي الآن تبكي حتى يخيل لي ان نياط قلبها تنقطع .  
مسكينة هي ساعدها الله : لا أستطيع الذهاب اليه  
الآن لوجود أخته معه ، لأنها استيقظت على بكاء أمها  
وذهبت الى هناك . ولكن امه تناديني ولا بد ان اذهب ..

\*\*\*

١٧ ديسمبر . رحلك الله يا أخى محمد ، فقد تم كل شيء ،  
وطويت الصحيفة ، وإنا لله وإنا اليه راجعون .  
مات صديقى اليوم وكانت ميتة هادئة - مضى وفي

عينه دمة فرحه الله ، فان قلبه كان يفيض حباً ، وما كان يفكر في نفسه يوماً . انى ابكيه وابكى نفسى فيه ، لأنى ارى حياتى قد ذهب منها بفقده لون من أزهى الألوان ، فقد كان مؤنسى ومهذبى . انى كنت ارى فيه من ايام التلمذة الأولى خلفاً عالياً ، ورجولة نادرة رغم صغرسنه ، فاذا ذكرته ذكرت طيبة القلب ، والكرم والشجاعة ، وكل حسنة من الحسنات وقد قضى صريع نفس كبيرة ، وضحية نظام فاسد انقله بالأحمال ، فاجتهد ان يضطامع بها ، ولكنه وجد حوله دناءة وحب نفس وبخلا وطمعاً فناء بالجل ، وهكذا قسمت الحظوظ في ذلك العالم الحفير .

انه ما بكى على الحياة ، وما كانت تسوى عنده شيئاً ولكنه كان يكبر الفضائل والرجولة ، ويستهن بكل شيء في سبيل المحافظة عايمها . كيف اقضى الحياة بعده وحيداً من صديق كان يشغل أكبر جزء من قلبى ، وهل اقدر ان اعيش وليس في الحياة ذلك الركن الذى كنت الجأ اليه إذا ضاقت في عيني السبل ؟ لقد كان يزعم أنه مدين لى ولكن غفر الله له تلك الغلطة فانه لا يعلم مقدار فضله علىّ لأنه لا يرى حسنات نفسه

وهكذا كان شأنه ، ينسى فضله ويذكر كل صغيرة تعمل له .  
 إني كلما اتذكر الطبع البشري ، واني لا بد سأنساه  
 بعد حين ، اتور على نفسي ، لأني لا أستطيع أن أتصور  
 كيف تكون حياتي إذا خلوت من ذكراه ، ومن ذكرى  
 نفسه الطيبة ، وخلقه الخلو . هكذا غشى الآجال ، وهكذا  
 يتخاف بعض الناس عن بعض ، وهكذا يذهب عن العالم  
 أنسه وعن الأرض روتها .

كان لم يكن بين الحجون الى الصفا

أنيس ولم يسمر بمكة سامر

١٨ ديسمبر - لها العذر فيما تفعل ، وكيف تصبر الأم  
 على فقد ابنها ، ولا سيما إذا كان الابن هو المرحوم محمد .  
 فتحت اليوم كتابه ، رحمه الله ، وهل تعدى ما كان  
 بنفسى ، وهل كنت لأترك اهله ، إنه واثق بى كل الوثوق  
 وكأنى ارى روحه إلى جانبي تبعث في حيا . نعم هادئا يا عزيزي  
 فقد اراد الله ما كان ، وسيسر روحك ان ترى سعي في  
 إسعاد من تحب ، ولو انها تكون سعادة ناقصة بفقدك .  
 إني أستطيع الآن ان اعمل كل ما كان يحول بنفسى لأن



محمدًا كان يتألم كلما يرانى أقدم له شيئًا من المساعدة ، فان نفسه كانت تأنف المساعدة حتى من صديقه . رحمه الله !

٢٣ ديسمبر - لا استطيع مع والدتي صديقي إلا التلميح بما أريد ، لأننى أرى الحزن يكاد يذهب بها ، وقد فهمت قصدى على ما أظن وهى عاقلة من خير السيدات - ووافقتنى وأنعم برأيها السديد ، على أن الزواج ليس من دلائل المرح فقد قالت لى عندما لمحت لها بزواج السيدة ( فائزة ) ابنتها ، إنها لا تظن أن الزواج دليل فرح يجب ألا يظهره الحزين ، فان الزواج والىلاد والىوت كلها امور لا بد منها فى هذه الحياة فيجب ألا يمنع حدوث أحدها حدوث الآخر . وبالطبع لن يكون شىء لىلة الزواج مما يدل على المرح . ولا أرى موجبا لاخبار أهلى ، فانهم يعرفون بمن سأزوج ، وهم يقدرون شرف الأسرة قدره ، وسيسرهم النبأ ولا شك .

٢٨ ديسمبر - اليوم قابلت السيدة ( فائزة ) لأول مرة .

وتذكرت كل حسنات صديقى المرحوم ، وقد أصبحت زوجى ولا ينقصنا الا تسجيل الاتفاق ، ولا يمنع ذلك من أن أحادثها على ما أرى ، وإن حديثها جميل ، يذكرنى

بحديث صديقي. إني لا أقدر أن أرضى عن ذلك المجتمع الذي  
 سلبني اعز صديق، وما كان اخي محمد الا ضحية من ضحاياه.  
 انظر حولي فأرى ناحيتين، ناحية فيها الشقاء القاتل  
 والأخرى فيها الأرف المفسد، ناحية فيها الكرم وعلو  
 النفس والايثار، والأخرى فيها الجهل والدناءة وحب  
 الذات، وإن السائد في هذا المجتمع وبالأأسف، فريق  
 الجهل، فريق الدناءة، فريق حب الذات، ألا رحمك الله  
 يا صديقي، ولا بد من العدل ولو بعد حين.

« كلمة للسيدة فاته اخت المرحوم » (محمد)

٣١ ديسمبر - انتهت حياة حبيب كان اعز علي من نفسي  
 حياة اخي المحبوب « محمد ». لقد كان لا يفكر إلا في امر  
 واحد وهو إسعاد امه واخته، ولكنه لم يوفق الى رؤية  
 ذلك في حياته، ففضى صريع - معيه

إني اذكرك يا عزيزي ولا استطيع ان احفف عيني .  
 فان روحك التي كانت تسمى لاسعادنا في حياتك، قد  
 ذهبت ضحية ذلك السعي، ولكنها لا تزال مشرفة علينا  
 عند الموت، وهامى اشعر بها ترقرق فوقنا وتغرنا بحبها

الفياض كما كنت في الحياة . رحمتك الله وأعاضك اجرا بعملك  
وسعيك ورحم شبابك الغض ، يا عزيزي ، يا أخي ويا والدي .  
« كلمة نوالدة للرحوم ( محمد ) »

٣١ ديسمبر . ماذا أقول ؟ لقد مضيت يا بني ، وعزائي  
أني سامض على أرك وتلتقي ان شاء الله في عالم لا يفنى .  
اني اذكرك فأذكر كل حياتي بين سعد وشقاء ، واذكر  
آلام نفس صغيرة تحملت عبء الحياة قبل ان تذوق لذتها .  
مسكين يا ولدي ، رحمتك الله ، ولم يطل بقائي بعدك في  
هذا العالم . اطووا عني هذه الكراسة ، فاني لا اطيع النظر  
إليها بعده .















